كريم ثابت

الملك فاروق

الكتاب: الملك فاروق

الكاتب: كريم ثابت

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

ثابت، كريم
الملك فاروق / كريم ثابت
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١١١ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٦ – ٩٦ – ٦٨٣٧ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان   رقم الإيداع: ١٧٦٧٤ / ٢٠٢٠

الملك فاروق

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

قبل أن تقرأ

كريم ثابت الكاتب الصحفي والمستشار الصحفي للملك فاروق شخصية مثيرة للجدل وطرح علامات الاستفهام حوله.

في سنة ١٩٤٢ اختار الملك فاروق كريم ثابت مستشارًا صحفيًا له، وهو منصب لم يكن له وجود قبل ذلك، بل أُنشئ لأول مرة من أجله. واختيار الملك له واستحداث هذا المنصب جعل الشعب يضرب أخماسًا في أسداس، فالمنصب جديد لا عهد للمصريين به، علما أن "فاروق" في ذلك الوقت لم يكن يكره أحدًا ولا شيئًا كما يكره الإنجليز الذي حاصروا قصره بالدبابات لإجباره على إسناد رئاسة الوزراء لمصطفى باشا النحاس، فكيف يأتي بربيب "المقطم" جريدة الاحتلال ويختلق له منصبًا رفيعًا؟ وظل الأمر محل نقاش وجدل وتخمين.

وقد ظل كريم ثابت في هذا المنصب عشر سنوات، انتهت بسقوط فاروق سنة ١٩٥٢. وقد راح ضحية موقعه من الملك؛ إذ قبض عليه الضباط الأحرار وقضى في السجن فترة طويلة، كتب أثناءها الفصول الأولى من مذكراته عن حياته في القصر الملكي، وهي المذكرات التي لم تُنشر إلا في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، بعد وفاة كريم ثابت، فقد توفي في عام ١٩٦٤

كريم ثابت هو صحفي مصري. شارك محمود أبو الفتح ومحمد

التابعي في تأسيس جريدة المصري، ثم باع حصته لأبي الفتح بعد أن اختاره الملك فاروق مستشارًا صحفيًا له.

وينتمي ثابت إلى أسرة تمصرت بالهجرة من الشام في أواسط القرن التاسع عشر. كان والده رئيسا لتحرير جريدة "المقطم"، التي كانت وثيقة الصلة بسلطات الاحتلال الإنجليزي. وقد ورث كريم ثابت عن أبيه رئاسة تحرير المقطم.

شارك ثابت في تأسيس جريدة "المصري" مع الصحفيين البارزين محمود أبو الفتح ومحمد التابعي، اللذين كانا رفيقيه في المكتب ذاته بجريدة الأهرام. فاستقال ثلاثتهم من الأهرام، وباع الشيخ أحمد أبو الفتح فدانين آخرين من فدادينه، دفع ابنه بثمنهما حصته في الجريدة، كما وضع التابعي وكريم ثابت مدخراتهما في مشروع الجريدة الجديدة، التي صدرت سنة ١٩٣٦، وكانت ندًا قويًا للأهرام، ولم يلبث محمد التابعي أن باع حصته في الجريدة لحزب الوفد وتفرغ لمجلته الأسبوعية "آخر ساعة"، ثم عين الملك فاروق كريم ثابت مستشارًا صحفيًا له، فاضطر إلى بيع حصته لأبي الفتح، ثم اشترى أبو الفتح حصة الوفد التي أخذها من التابعي، فصار أبو الفتح المالك الوحيد للجريدة.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل.. في تقديمه لكتاب «ملك النهاية» لكريم ثابت «كان كريم ثابت صحفيًا معروفًا ولكنه لم يكن أكثر الصحفيين شهرة، وكان متمرسًا ولكنه لم يكن أكثر الصحفيين كفاءة، فكان السؤال: «لماذا كريم ثابت بالذات؟»».

بعد قيام ثورة يوليو سُجن كريم ثابت لسنوات، وكان سجنه ليس على خلفية علاقته بالملك فاروق فحسب ولكن لأنه كان متورطًا في فضيحة مالية في مطلع سنة ١٩٥٠. وأصل هذه الفضيحة أنه حصل من مستشفى المواساة على مبلغ خمسة آلاف جنيه بدون وجه حق ولا مستند، فقام رئيس ديوان المحاسبة «محمود محمد محمود» بالتحقيق في القضية، ولم يصل إلا إلى مزاعم من مدير المستشفى قال فيها: لقد قدمنا لكريم باشا المبلغ نظير دعاية قام بها للمستشفى.

وعن سنوات سجنه قال كريم ثابت إنه استغلها ليكتب مذكراته، وهي المذكرات التي تستحق الرواية ومن ثمّ الفحص والتدقيق. فهي مكونة من كتابين، الأول يحمل عنوان «ملك النهاية – فاروق كما عرفته – مذكرات كريم ثابت»، وهذا الكتاب قدم له الأستاذ هيكل.

في تقديمه للمذكرات كتب – بشكل موضوعي– الأستاذ هيكل «إن ما جرت كتابته عن أسرة محمد علي وهى على العرش، جاء انتقاصًا من الحق، ثم إن ما كُتب بعد نزولها عن العرش جاء انتقاصًا من العدل، وفي السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من الكتابات جاءت انتقاصًا من العقل».

ستقرأ في المذكرات: "حمدت الله كثيرًا لأنه تعالى بعث فينا أمير الفقراء أبا خالد (جمال عبد الناصر) لكي يخلصنا من ملك... طفل نضج جسده ولكن لم ينضج عقله، وجد نفسه في غفلة من الزمن ملكًا متربعًا على عرش عريق لمملكة كبرى يشغل أمرها العالم كله، وقع الطفل

بين أنياب قسوة أبيه الملك فؤاد وعنف تربيته، وبين انفلات أمر أمه الملكة نازلي، فقضى حياته متخبطًا لا يعرف لنفسه رأسًا من قدمين".

لكن الكتاب الذي بين أيدينا، والذي صدر عام ١٩٤٤ يعد وثيقة هامة لرأي ثابت في فاروق وتملقه له، وربما يكون هذا أحد الأسباب لتعيينه مستشار صحفيا.. ونترك الحكم للقارئ الفطن.

الناشر

الفصل الأول

كيف تشرفت بمعرفة جلالته؟

كنت أم في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ في فندق كتركت بأسوان، وفي ذات يوم شعر نزلاء الفندق آن في جناح منه حركة غير اعتيادية فيسألوا عن الباعث عليها فعلموا أن جلالة الملك المعظم وجلالة الملكة يصلان إلى أسوان بعد يومين في زيارة عادية وأنهما سيشرفان الفندق ويقيمان به أياماً للراحة والاستجمام ثم يشرعان في رحلة صحراوية وقابل نزلاء الفندق جميعا هذه المفاجأة السارة باغتباط عظيم، ولم يعد لهم حديث إلا بها وبما تهيئه لهم من فرصة سعيدة نادرة لاجتلاء طلعة صاحبي الجلالة عن كثب.

ولم أكن قد تشرفت بعد مقابلة مليكنا المحبوب فشاطرت جميع نزلاء الفندق اغتباطهم طبعا ولكن في الوقت نفسه ساورني شيء من القلق..

كنت قلقا لأنني صحافي!

فقد خشيت أن يتبادر إلى ذهن المليك أنني جئت إلى أسوان كصحافي بمناسبة تشريفه لها، وأن طبيعة عملي الصحفي تغلبت على ما يجب على من احترام لمشيئة جلالته في أن تكون رحلته رحلة عادية، خالية من المظاهر الرسمية، والقيود التقليدية.

ولذلك تعمدت ألا أظهر في أرجاء الفندق إلا نادراً، بل إنه لما

شرفه جلالته حظي برؤيته جميع نزلائه ما عداي، فقد آثرت الابتعاد والانزواء ولم أعلم بتشريف جلالته إلا متأخراً.

وما كاد المقام يستقر بجلالته في الفندق حتى سرى بين نزلائه أن الملك لا يريد أن تكون إقامته بينهم سببا في تقييدهم بأي قيد كان.

أفهموهم أن جميع قاعات الفندق وأبهائه ستظل مفتوحة لهم كالمعتاد، وأن الجلوس على شرفة الفندق الكبيرة المطلة على النيل والحديقة سيظل مباحا لهم في كل وقت، فإن الملك يود أن يشعروا بأنه واحد منهم وأن تشريفه للفندق لم يغير شيئا في نظام مقامهم به، حتى الأطفال كانوا أحراراً في أن يسرحوا في أرجاء الفندق ويمرحوا.

بل إنهم كانوا أول من التقى بهم الملك بعد وصوله إلى الفندق بقليل، فكان يستوقفهم ويداعبهم ويربت على أكتافهم وهم يلعبون ولا يدرون أي شرف ينالون.

وما كدت أغادر حجرتي في ذلك اليوم حتى أقبل علي بعض خدم الفندق يقولون «مبروك» فقلت لهم «مبروك على إيه؟».

فأخبروني عندئذ أن مولانا استوقف ابنتي ليلى وهي تعدو في بهو الفندق ولاعبها وسألها عن اسمها فلم تجاوبه وكان عمرها يومئذ ستة عشر شهرا ولا تتكلم...

فقلت في نفسي "الحمد لله على أنها لا تتكلم بعد وإلا افتضح أمر وجودى".

* * *

ومضيت في سبيلي إلى شرفة الفندق وكانت مكتظة بنزلائه فلبست في ركن منها أتمتع مثلهم بجمال إقليم أسوان في ذلك الفصل من السنة.

وبعد قليل حانت مني التفاتة إلى أحد الأبواب التي تؤدي إلى الشرفة فلمحت الملك مقبلاً...

ترى ماذا يفعل نزلاء الفندق؟ أيقفون أم يظلون جالسين؟

وفي تلك اللحظة مر جلالته ببعض منهم فنهضوا إجلالا وأشار إليهم بأن يجلسوا وحياهم بعبارة رقيقة باسما، ولاحظ جلالته أن آخرين يهمون بالنهوض كذلك فأومأ إليهم بأن يظلوا جلوساً.

ومن تلك اللحظة أخذت ديمقراطية جلالته تتجلى بأجمل مظاهرها، وأدرك الناس أنه إذا كان الملك قد أعفاهم من القيود الرسمية فعليهم من ناحيتهم أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يذهب برونق الاستجمام الذي ينشده.

وبعد الغداء عاد جلالته إلى الشرفة ودعا سعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة إلى الجلوس بالقرب منه، وتسنى للجالسين على الشرفة في تلك الساعة أن يشاهدوا كثيرا من عطف جلالته على رجاله والقائمين على خدمته وأن يروا بأنفسهم المعاملة السمحة التي يلقونها منه، فقد كان أحد ضباط الياوران واقفا على بعد خطوات من مجلسه فدعاه وأمره بالجلوس معهما،وبعد قليل أمر الياور الآخر بأن يجلس معهم كذلك.

وجيء إليه بالقهوة فأشار جلالته إلى الخادم من طرف خفي بأن يجلب لهم قهوتهم فلما جلبها تلطف وأذن لهم في شربها فاعتذروا وكانوا قد شربوها قبل تشريف جلالته.

وإذ لاحظ جلالته أن ناظر خاصته لا يدخن ناوله علبة سجايره فأخرج منها سعادته سيجارة ولما لم يشعلها ناوله جلالته «الولاعة» ليشعلها بها.

وبعد ما أمضى جلالته فترة من الوقت على شرفة الفندق صعد إلى الجناح الخاص به وعكف على مطالعة التقارير والأوراق المرسلة إليه من القاهرة كأنما استكثر على نفسه أن يمتعها بالراحة يوما كاملا.

وقضى جلالته صباح اليوم التالي وقبل ظهره كله في الاطلاع والبحث فلم يغادر الجناح الخاص به إلا بعد الغداء.

وكنت جالساً وقتئذ في حجرة الكتابة في الفندق أسجل ما رأيته أمس، وبعد ما أنجزت الكتابة غادرت الحجرة متجها إلى مدخل الفندق لأسأل مديره عن أمر كنت أريد الاستفسار عنه.

وبينما كنت أجتاز البهو الكبير سمعت صوتا يناديني باسمي فالتفت إلى ناحية مصدره فأبصرت دولة حسين سري باشا فكرر مناداتي فاتجهت إليه وأنا لا أصدق ما تراه عيناى...

فقد رأيت جلالة الملكة تحمل ابنتي ليلى على ذراعها وهي تداعبها وتلاعبها وقد وقف على مقربة منها حسين باشا وأحد ضباط الياوران وإحدى السيدات الوصيفات.

وابتدرني حسين باشا بقوله: «هل تعرف ابنة من هي هذه الطفلة؟» فقلت: «إنها ابنتي يا أفندم».

فتفضلت جلالة الملكة وسألتني عن اسمها وعمرها ثم جلست جلالتها وأخرجت قطعة نقود من ذات العشرة القروش وأخذت تداعبها بها على مائدة صغيرة، وفجأة رأيت ابنتي تأخذ نظارة جلالة الملكة وتلعب بها فأردت أن أعطيها نظارتي لعلها تقنع بها عوضا عنها، ولكن نظارة الملكة استوقفت نظرها بلونها الأزرق فأبت أن تدعها تفلت من يدها ثم رمتها على الأرض فقلت: «عفوا يا صاحبة الجلالة إنها لا تدري ما تفعل؟».

فقالت جلالتها باسمة: «اتركها. اتركها. إن فوزية تفعل مثل ذلك تماماً».

لم أجد ما أقول سوى الدعاء إلى الله أن يحفظ لمصر ملكها وملكتها وأن يقر أعينهما بالأميرتين المحبوبتين فريال وفوزية.

وفي تلك اللحظة أقبل جلالة الملك وكانت ابنتي لا تزال تلعب بنظارة الملكة فاشترك مع جلالتها في مداعبتها ثم التفت إلي وقال: «لقد كلمت ابنتك بالعربية فلم ترد على فكلمتها بالانجليزية فلم تجاوب جربت الفرنسية فلم تجاوب أيضا» فقلت: «إنها لا تتكلم بعد يا مولاي» فقال جلالته مازحا: «ومتى تظن أنها تتكلم...»

كل ذلك وجلالته مستمر في اللعب معها.

ثم جاء أحد الياوران وقال لصاحب الجلالة إن السيارات حضرت فنهضا وتفضل الملك فأولاني شرف مصافحته.

وكانت هذه أول مرة أتشرف فيها بمقابلة جلالته خرجت منها بشعور زادته الأيام رسوخا، وهو أنه ملك ذو قلب عظيم وأن الله حباه بتلك القوة التي تجتذب القلوب إليه، قوة أن يكون إنسانة قبل كل شيء، وهي أعظم قوة يستطيع ملك أن يتمتع بها.

وكنت بعد ذلك كلما تشرفت بلقاء جلالته رأيت صورة جديدة لتلك القوة الإنسانية فأحمد الله على أن ملكنا سما إلى ذروة الديمقراطية الصحيحة بروحه الفطرية، ويقيني أن هذا هو شعور كل من أسعده الحظ بمعرفته عن قرب، بل عندي أن عظمة الفاروق الحقيقية لا تتجلى بأجمل صورها إلا في المواقف غير الرسمية، لأنك تدرك عندئذ أن سجاياه التي يتحدثون بها في المواقف الرسمية هي طبيعة فطر عليها، فالاعتزاز بمصر والثقة بقواها الكامنة والعطف على الشعب والبر بالطبقات العاملة والشفقة على الفقراء – كل ذلك لا يتكلفه الفاروق ولا يتصنعه، بل إنك تلمسه فيه لمسا كلما حظيت بمجلسه، وفي كل حديث من أحاديثه، وهو في الوقت عينه يبهرك بتواضعه وبساطة معاملته،فترى كيف تكون عظمة التواضع، وترى كيف تكون عظمة البساطة في المعاملة، وعندئذ تؤمن بأنه المصري الأول بروحه وشعوره قبل أن يكون المصري الأول بلقبه وعرشه.

* * *

وكان مساء ذلك اليوم ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة.وكان الفندق كله في عيد، وقد زاده تشريف الملكين بهجة وسروراً.

وقبيل أن يأزف موعد العشاء أذيع أن صاحبي الجلالة سيتعشيان مع نزلاء الفندق في قاعة الأكل الكبرى فعمهم البشر والابتهاج.

واعتاد جلالتهما عندما لا يتناولان الطعام في الجناح الخاص بهما أن يتناولاه في قاعة الأكل مع سائر نزلاء الفندق..

ولما انتهى العشاء انتقل نزلاء الفندق إلى قاعة الحفلات حيث انضم إليهم كثيرون من غير النازلين بالفندق وقد جاءوا ليقضوا فيه سهرة العيد آملين أن يحظوا بطلعة المليك.

وبعد قليل أقبل الملكان يحف بهما جلال الملك، فنهض الجميع تحية واحتراما، وعزفت الموسيقى السلام الملكي، ثم أخذا مكانهما في جانب من جوانب القاعة.

ولم يشأ جلالة الملاك أن يكون وجوده سببا في تغيير شيء من برنامج السهرة وتقاليد العيد، فدعا إليه سعادة توفيق دوس باشا بوصفه رئيسا لمجلس إدارة شركة فنادق أعلى الصعيد وأوعز إليه بأن يذيع بين الحاضرين أن الملك يرغب إليهم في أن يتمتعوا بحريتهم كاملة.

ترى ماذا حدث عندئذ؟

ما كادت الإشارة الملكية تسري بين الحاضرين حتى أخذ المصريون منهم يهتفون لجلالته ولجلالة الملكة بما يعرب عن إخلاصهم وولائهم.

كانوا يريدون أن يهتفوا من أول لحظة ولكنهم ترددوا، فقد لا تسمح التقاليد بالهتاف في ذلك المكان وفي ذلك المقام، ولكن ما كاد توفيق

دوس باشا يقول للجميع لا تقيدوا حريتكم حتى انبعث الهتاف من كل جانب، فكانت مظاهرة جميلة تكررت مرة أخرى عند حلول رأس السنة الجديدة في منتصف الليل، فإن توفيق دوس باشا وقف في تلك الدقيقة ودعا إلى شرب نخب صاحب الجلالة، فنهض الجميع إجلالا وهتفوا لها هتافا عاليا، وشرب صاحبة الجلالة النخب عصيراً من البرتقال.

وقبيل أن تنتهي السهرة غادر المكان القاعة فودعهما الحاضرون من مصريين وأجانب وداعا حافلا، ولم يكن لهم بعد ذلك حديث سوى ما شاهدوه من ديمقراطيتهما.

* * *

وفي اليوم التالي تعشى الملكان في قاعة الأكل الكبرى كذلك، ثم اتجها بعد العشاء إلى البهو الكبير تحيط بهما الحاشية، وكان أحد جوانب البهو محجوزة لهما، ولكن الهواء نزع البطاقة التي كتب عليها «محجوز» من المائدة التي وضعت عليها، فلما رأيت ذلك الجانب من البهو خاليا دعوت بعض الأصدقاء والمعارف من نزلاء الفندق إلى الجلوس هناك دون أن ينتبه أحد منا إلى البطاقة التي سقطت على الأرض، وبعد قليل أقبل الملكان ومرا بالرواق المحاذي للبهو، ولما اقتربا من الركن الذي جلسنا فيه تمهلا في السير فلما رأيا جميع مقاعده مشغولة واصلا سيرها لكيلا يشعرنا بما بدر منا، ولكن حدث عندئذ شيء غريب فقد أدرك كل واحد منا في تلك اللحظة أن المكان لم يكن خال اتفاقا بل كان محجوزة للملكين، وبدون أن نتشاور فيما يجدر بنا عمله

نهضنا جميعا وتسللنا الواحد تلو الآخر، نخرج بعضنا إلى الشرفة وانتقل البعض الآخر إلى الجهة المقابلة من البهو.. حدث ذلك كله في دقيقة واحدة ومن غير أن نتبادل كلمة واحدة كأن هامسا همس في آذاننا جميعا أن نقوم وبينما كنا واقفين على الشرفة جاءنا أحد ضباط الياوران وقال: إن مولانا أمرني بأن أدعوكم إلى العودة إلى المكان الذي كنتم جالسين فيه.

فقال أحدنا على الفور: ولكننا لا نريد إزعاج مولانا ولذلك يحسن أن نبقى هنا

فقال: إن مولانا نفسه هو الذي أمر بذلك.

فرجعنا جميعا من حيث كنا، وأدينا للملكين واجب الإجلال والتحية، فأشار إلينا جلالته بأن نجلس فجلسنا، وفي أثناء السهرة حانت من صاحبي الجلالة التفاتة كريمة وأنا أسأل سعادة مراد محسن باشا: هل أسعد بسماع حديث عن الأميرتين فريال وفوزية؟

وهنا ابتسمت جلالة الملكة وقالت: ماذا يقول؟

فبعثني هذا العطف على تكرار ما كنت أقوله لمراد باشا وبعد قليل أخذت جلالتها تتحدث عن الأميرتين المحبوبتين، فكانت أما تتحدث عن كريمتيها.

وكانت جلالتها كلما استرسلت في الحديث ازددنا شعورا بجمال الأمومة وقد تمثلت فيها بأنبل صورها وأصدق معانيها.

كان حديث جلالتها مثالا ساميا رفيعا لكل أم، نقول مثالا لأن الأم يجب أن تكون أنا قبل كل شيء ولو كانت ملكة !

قالت جلالتها: إن فريال تظهر استعدادا عظيما لتعلم اللغات، وهي تتكلم الآن العربية والانجليزية والفرنسية وتميز بعضها من بعض فقد حرصنا على أن لا تتغلب لغة منها على أخرى فإذا خاطبناها بالعربية أجابت بالعربية وإذا كلمناها بلغة أجنبية ردت علينا بها.

وهنا قال جلالة الملك: وسنبذل عناية خاصة بأن تتقن فريال وفوزية اللغة العربية على الوجه اللائق بلغة البلاد.

ولم يقل جلالته أكثر من ذلك ولكنها كانت عبارة سامية المعنى وجديرة بأن تصل إلى بيوت كثيرة !

وقالت جلالتها: وتحب فريال الأطفال حبا عظيما وهي شديدة الحنو على شقيقتها فوزية وتظن أنها أكبر منها كثيراً فإذا أتيتها على شيء قالت لي: إنها لا تزال طفلة يا ماما...

وقال جلالة الملك: إن البنات بركة.. وأنا لا أزال شابا،وعندما تكبران أريد أن تشعرا أنني أخ كبير لهما، لا والد فقط.. والد أحيانا وأخ كبير أحيانا أخرى.

فكانت هذه العبارة على إيجازها درسا جليلا في التربية خليقا بأن يستوعبه كل والد له أولاد ويريد لهم نشأة صحيحة.

ومضت جلالة الملكة في حديثها فقصت علينا كيف بدأت الأميرة

فريال تدرك المقام السامي الذي لجلالة والدها فإذا تكلمت عنه مع أحد قالت «مولانا» (بضم الميم وتسكين الواو) لأنها تسمع كل من في القصر يقول «مولانا» فتريد أن تقول مثلهم.

وتلاحظ سموها الرعاية التي تحيط بها جلالة والدتها الوصيفات فإذا أقبلت وصيفة منهن قالت لها سموها بعد التحية: اتفضلي ياست هانم.

وهنا ابتسم جلالة الملك وقال: إن الملكة تمضي وقتها كله مع فريال وفوزية.

فقالت جلالتها: ليس في الحياة الدنيا زينة أجمل من التوافر على العناية بالأطفال.

في تلك الساعة كدنا نسي أننا في حضرة الملكين فقد كان الوالد هو الذي يتكلم لا الملك، وكانت الأم هي التي تتحدث لا الملكة.

ولما رجعت إلى حجرتي في آخر السهرة خشيت أن أنسى ما دار فيها فعكفت على تدوينه وقد استهللت الكتابة بقولي: لقد أتيحت لي في حياتي الصحافية مناسبات تاريخية متعددة ولكن المناسبة التي هيأتها الليلة ديمقراطية صاحب الجلالة الملك والملكة ستظل غرة تلك المناسبات.

* * *

وفي اليوم التالي نزل جلالة الملك إلى شرفة الفندق متقلداً بندقيته ثم لم ألبث أن رأيته يصوبها نحو مركب شراعي في النيل ويطلقها فلم

أتبين في بدء الأمر هدفه ثم علمت أنه جعل الهدف قطعة صغيرة من الصفيح مثبتة في أعلى سارية المركب فأصابها جلالته غير مرة بما ينم على مهارة عظيمة في الرماية ، وقد أتيح لي فيما بعد أن أشاهد هذه المهارة في مباراة دولية للرماية سيجيء الحديث عنها فيما بعد.

ولما فرغ جلالته من تمرينه قلت له: لم أكن أدري يامولاى أنك تجيدون الرماية هذه الإجادة.

فابتسم جلالته وقال: وما قيمة الرجل الذي لا يحمل بندقية؟

وكنت أعلم شيئاً كثيراً عن ولع جلالته بالسلاح، وعن شغفه بفك القنابل، وتحليل موادها، والإحاطة بالأجزاء التي تتألف منها، و إعادة تركيبها، وذلك في المعمل الخاص الذي أنشأه في قصره ليتردد عليه في أوقات فراغه، فقلت لجلالته إنها هواية لا تخلو من مخاطرة، فابتسم مرة أخرى وقال: ما من أحد يموت قبل يومه!

الفصل الثاني

رحلات جلالته الصحراوية وما تفيده البلاد منها

وفي الغد خرج جلالة الملك إلى رحلته الصحراوية، ولم تكن هذه أول رحلة لجلالته في الصحراء فقد تعددت في سنة **١٩٤١** زياراته للواحات، وفي سنة **١٩٤٢**، رحل جلالته غير رحلة واحدة إلى صحار مصر الشرقية.

وقد لا يرى بعضهم في هذه الزيارات والرحلات سوى مظهرها وهو حب جلالته للرياضة وشغفه بالصيد، ولكن الذين يمعنون النظر في نتائجها ويحيطون بأخبارها من الذين يتشرفون بمرافقته فيها يرون ما هو أسمى من ذلك بمراحل، فإن جلالته بزيارته لتلك المناطق النائية يريد أن يعرف مملكته معرفة شخصية، منطقة منطقة وإقليماً إقليماً،ويريد فوق ذلك أن يقضي على الرأي القائل أن هناك مناطق قريبة ومناطق بعيدة، فيشعر سكان الجهات المنعزلة عن الحواضر أنهم يلقون من عنايته بأحوالهم واهتمامه بشؤونهم ما يبعث ولاة الأمور على الاقتداء به بعد ما ظلت تلك الجهات زمانا طويلا معدودة كمنفي أو شبه من الموظفين المغضوب عليهم.

وكان الحكام السابقون إذا أرادوا زيارة واحة كواحة "سيوه" مثلا قامت الحكومة لذلك وقعدت، وأعدت من المعدات ما لا يحصره بيان، واتخذ رجال الإدارة من التدابير ما يعكفون على تهيئته أسابيع برمتها،

فإذا الملك فاروق يقلب تلك الأوضاع كلها رأساً على عقب فيرحل رحلاته الصحراوية في أبسط مظهر، ولما لاحظ أن السكان يصرون على تزيين منازلهم وأكواخهم وقراهم مع تنبيهه الشديد على ولاة الأمور بأن لا يقيموا زينات ما أخذ يفاجئهم بزياراته مفاجأة ليوفر عليهم كل تكاليف مهما يكن ضئيلاً.

ولم يكن لجلالته، وقد ورث عن المغفور له والده العظيم حب الكشف العالمي، أن يجرد هذه الرحلات من الأغراض العالمية، ففي كل مكان ينزله يأمر بجمع نماذج من الماء الذي يجري فيه، ومن كل شيء يستوقف نظره في الزراعات، وفي طبقات الأرض، حتى إذا عاد إلى القاهرة أمر بإرسالها إلى الجهات الفنية لتدرسها، وتبدي آراءها الفنية فيها، وتوافيه بتقارير عنها.

ثم إن جلالته بهذه الزيارات المستمرة لأرجاء المملكة غير المطروقة يحث المصريين على الاهتمام بمعرفة بلادهم أكثر مما يعرفونها، فتكثر زياراتهم لتلك الأرجاء، فتزداد الصلات بين سكانها وسكان الحواضر، ويزداد اهتمام الحكومة بشؤونها ومرافقها وهو ما توخاه الملك فؤاد من زياراته لمرسي مطروح وسيوه والسلوم في سنة ١٩٢٨ فلما زارها دولة إسماعيل صدق باشا وهو رئيس الحكومة بعد ذلك بثلاث سنوات أو أربع،وكنت أصحبه في تلك الزيارة، لم أسمع في كل مكان سوى أن الملك فؤاد هو الذي أوصى بعمل كيت، أو أن الملك فؤاد هو الذي أوعز بصنع كيت، وكان جلالته قد سبق كل رئيس

حكومة في تاريخ مصر الحديث إلى زيارة تلك النواحي النائية.

ومن فوائد هذه الرحلات وأغراضها أنها ستقضي مع الوقت على وهم قديم تسلط على السواد الأعظم من الموظفين، فأصبحوا ينظرون بعدم الرضى إلى كل مهمة يكلفونها بعيدا عن الحواضر، فإذا قيل لأحدهم إنه سيذهب إلى سيوه أو إلى مرسى مطروح أو إلى الواحات أو إلى الصحراء الشرقية عد ذهابه إليها نفيا له، فهذا الوهم سيبدده جلالة الملاك مع الأيام فيسدي إلى البلاد خدمة من أجل الخدمات. سيبدده لأنه في كل رحلة من رحلاته يلقي علينا طائفة من الدروس الصامتة ولكنها دروس عملية فتجيء أبلغ من كل كلام، ومن هذه الدروس أن لا فرق بين قريب وبعيد وأن المناطق النائية والبقاع المنعزلة يجب أن تكون موضوع تفكيرنا واهتمامنا على الدوام ما دامت تؤلف جزءا من المملكة.

ومن هذه الدروس أن الملك يسعى إلى تلك المناطق والأرجاء بنفسه غير مكترث للمشاق والصعاب بل المأثور عن جلالته أنه يسلك في رحلاته الصحراوية أوعر المسالك وأصعب الدروب، وقد أتيح لي أن ألقي نظرة على الخارطات التي سارت القافلة الملكية على هديها في الرحلة الثانية إلى الصحراء الشرقية فإذا بها قد سلكت في بعض الجهات طرق لم يسلكها ملك قبل الآن بل لم تطأها قدم مصري قبل الآن، وما حدث في هذه الرحلة حدث في غيرها.

ومن هذه الدروس أنه إذا كان ملك البلاد يذهب إلى تلك المناطق والأرجاء ويتحمل في هذا السبيل ما يتحمل ويقطع ١١٠٠كيلومتر في

سبعة أيام كما فعل في الرحلة التي أشرت إليها في الفقرة المتقدمة فليس لأحد بعد ذلك أن يشكو، أو يتذمر، إذا طلب إليه الذهاب إلى منطقة منها.

* * *

وحدث مرة في إحدى رحلات المليك الصحراوية أن ضلت القافلة الطريق، ولاحظ جلالته إمارات الاضطراب على وجوه العربان الذين يصحبونها لتسترشد بخبرتهم، وبينما هو كذلك قيل له إن البنزين نفد وإن بعض الخزانات التي ظنوا أنها مملوءة بنزينا ملئت بترولا خطأ، وكان ماء الشرب قد نفد كذلك أو كاد... ولم يكن مع القافلة لاسلكي تتصل بواسطته بمن يستطيع إنجادها.

ولم يلبث الاضطراب أن ساور الجميع ما عداه، فقد ظل جلالته محتفظا بهدوئه ورباطة جأشه ومسيطرا على أعصابه كعادته في كل موقف خطير، و بعد ما شجعهم وأمرهم بما يتعين عليهم عمله قال لهم لا فائدة ترجى من أن تبقوا جميعا مجتمعين في بقعة واحدة، بل من الأفضل أن تنتشروا شعبا للبحث عن الماء ريثما يفطن الناس إلى تأخرنا ويخطر لهم أن يبحثوا عنا، فأطاعوا أمره، ومرت ثلاثة أيام بقيظها قبل أن يهتدوا إلى الماء، وكان الظمأ قد أخذ منهم مأخذه، ويؤكد جلالته أنه لو طلع عليهم اليوم الرابع بدون شرب لما كان الذين خفوا إلى نجدتهم قد وجدوهم على قيد الحياة.

وإذا روى جلالته هذا الحادث رواها كأنه يتحدث عن نزهة عادية وكان تعليقه الوحيد عليه: «إن هذا الحادث علمنا أن تأخذ معنا في كل

رحلة صفائح إضافية من البنزين والماء وأن نخبئها في مكان لا يهتدي إليه أحد بحيث لا تمتد إليها يد إلا عند الضرورة القصوى، وكذلك صرنا لا نخرج في رحلة صحراوية طويلة بدون أن نأخذ معنا آلة اللاسلكي».

وجلالته هو الذي يشرف على إعداد جميع معدات هذه الرحلات، فلا تشتغل المصالح الحكومية بها، وذلك حرصا منه على أن تظل بعيدة عن كل صبغة رسمية استيفاء للأغراض التي يتوخاها منها.وهو الذي يدرس خططها ويعين مراحلها، وهو الذي يجعل من نفسه قدوة للآخرين في التقشف والترحيب بما تنطوي عليه حياة الصحراء من شظف العيش.

وهو الذي يجعل نفسه، راضيا مغتبطا، ما ينوء به سائر أعضاء القافلة من ارتياد مناطق وعرة إلى تسلق جبال مرتفعة إلى زيارة مناجم والطواف بمصانع، على نحو ما حدث في خلال الرحلة الشاقة التي رحلها جلالته في شهر يناير سنة **١٩٤٢** في الصحراء الشرقية وعلى شاطئ البحر الأحمر.

وكل ذلك في سبيل الدرس والاستطلاع فيفيد بلاده مشاهداته وملاحظاته.

وكان في استطاعة جلالته أن يجوب معظم تلك الأرجاء بطريق البحر فيستريح، ولكنه لم يفكر في راحته بل فكر في مشاهدة أقصى ما يمكنه مشاهدته، وفي جمع أغزر ما يتسنى له جمعه من المعلومات، وفي اكتساب أعظم مقدار من الخبرة يسعه اكتسابه، فوجد أن السفر بالسيارات يحقق غرضه في هذا كله أكثر من السفر بحرة، جعلها

رحلات بالسيارات غير مبال مشاقها وغير مكترث لتقلبات الجو وكانت كثيرة فكان بذلك قدوة لشبابنا في غير ناحية واحدة.

ومتى ذكر الباحث ما سيكون للصناعة من شأن في حياة مصر المقبلة، وما لذلك من علاقة بالثروة المعدنية العظيمة التي يحويها جوف الأرض في المناطق التي جابها جلالته في غير رحلة واحدة من رحلاته أدرك ما سيكون لمشاهدات جلالته و ملاحظاته من نتائج هامة على مر الأيام ولاسيما أن من أعز أمانيه أن تصبح مصر بلاد صناعية بقدر ما هي بلاد زراعية.

ولا يقنع جلالته في أثناء طوافه بما يلمحه عن بعد أو بما يصل إلى مسمعه عن طريق الأحاديث والتقارير، بل هو دائما حريص على مشاهدة كل شيء بنفسه والإحاطة بكل شيء يسمعه، ولذلك فإن الفنيين الذين يتشرفون بلقائه يدهشون لمعلوماته الفنية وقوة ذاكرته وسداد ملاحظته وعنايته العظيمة باستيعاب كل ما يقع عليه نظره.

وتراه بعد هذا كله إذا أصيبت سيارته بعطب وهي في وسط الصحراء بادر إلى إصلاحها بنفسه غير متأفف من ذلك ولا متذمر، فقد أولع بالميكانيكا منذ صغره، وهو بلا ريب من أمهر الميكانيكيين، وهو إلى جنب ذلك صانع مقتدر بيديه وقد صنع بهما أشياء كثيرة يفخر بها وهي تضعه حتما في مصاف الصناع الأكفاء، وليس في استعمالي لكلمة «صانع» ما يضير جلالته فإنه يعتز بما تصنعه يداه في أوقات الفراغ للتسلية، وقد سمعته مرة يقول: «لو لم أكن ملكا لكنت صانعا بارعا بما أستطيع صنعه بيدى».

* * *

وقد أنشأ جلالته في المزارِع الملكية في أنشاص متحفاً يحفظ فيه النادر من الحيوانات والطيور التي اصطادها في خلال رحلاته بعد تحنيطها.

وفي بعض أرجاء هذا المتحف خزانات من الزجاج تحتوي على نماذج من جميع المعادن التي عثر عليها جلالته في تلك الرحلات وعلى نماذج أخرى من جميع طبقات الأرض التي استوقفت أنظار جلالته في الواحات والصحاري، وتؤلف جميع هذه النماذج متحف نفيسة المشتغلين بالعالم وهي دليل مادى ناطق على ما تفيده البلاد علمية من رحلات المليك في صحارى مصر وواحاتها.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا المتحف ينمو باطراد، وقد نسق تنسيقا جميلا بإشراف جلالة الملك نفسه وهو يزوره من وقت إلى آخر ليتفقد ما يضاف إليه من تحف جديدة، وإذا زار زائر أنشاص بدعوة من جلالته فإن هذا المتحف يكون حتما في مقدمة ما يدعى إلى مشاهدته، ولا ريب في أنه سيكون لمحتوياته شأن كبير في المستقبل القريب.

ويأبى جلالته أن يذكر اسمه في هذا المتحف،كأن يقال مثلا إنه هو الذي اصطاد هذا الطير أو ذاك الحيوان فيكتفون بتثبيت تاج صغير على اللوحة التي ينقش عليها اسم الطير أو الحيوان وتاريخ اصطياده ومكانه، أما الطيور والحيوانات التي لم يصطدها جلالته فلا يوضع هذا التاج على لوحاتها.

* * *

ولا يخرج جلالته في رحلة من هذه الرحلات بدون أن يكون مصحفه في جيبه وهو المصحف الذي لا يفارقه أبداً. وحدث مرة أن نسيه جلالته في القصر فلما فطن إلى ذلك أرسل رسولاً بسيارة خاصة ليأتيه به.

وعند جلالته مجموعة نفيسة من المصاحف وهو يستعين على درس خطوطها ونقوشها بخبير خاص له عنده منزلة رفيعة.

ولجلالته في قصر القبة مكتبة خاصة تشغل عدة حجرات وتملأ رفوف كل حجرة من الأرض إلى السقف، وهي غير مكتبة عابدين الرسمية، وقد أنشأ جلالته بجوار هذه المكتبة الخاصة حجرة خاصة بحفظ مجموعته النفيسة من المصاحف احتراماً لها، وقد بنيت هذه الحجرة على الطراز العربي وحليت قبتها وجدرانها بالآيات القرآنية والنقوش العربية جاءت آية في الجمال والفن، وسمع جلالته بعضهم يقول مرة إن الناس لا يعرفون شيئا عن هذه الحجرة وعن عنايته بمصاحفه فقال: «وهل يعلن المؤمن عن إيمانه؟» فأفحمهم.

* * *

وفي جميع تلك الرحلات يقود جلالة الملك سيارته بنفسه، وليست قيادتها في دروب الصحارى الوعرة بالأمر الهين المريح، ولكن جلالته يجد لذة كبيرة في هذا الضرب من الرياضة ولا سيما أنه سائق ماهر، بل إنه يجيء في الطليعة بين أمهر السائقين، وكان لا يزال في السابعة من عمره لما بدأ يقود سيارته الخاصة.

وقد اتفقت آراء الخبراء بشؤون السيارات على أنه لولا مهارة جلالته الفائقة في قيادة السيارات وما يبديه من رباطة الجأش وضبط النفس في المواقف الدقيقة الخطيرة لما انتهى حادث اصطدام سيارته في «القصاصين» بسلام، ولكن جلالته استطاع بمهارته وسرعة خاطره أن يتفادى الخطر الأكبر بالنتيجة التي خرج بها، وهي أقل نتيجة كان يمكن أن يسفر عنها الاصطدام الشديد الذي حدث.

وكانت أول عبارة قالها الملك المؤمن عند مبادرتهم إلى نقله من مكان الحادث: «عفوك يا رب»

* * *

ولما زار جلالته بورسعيد[1] رسمياً انتهت الزيارة برحلة باليخت الملكي «المحروسة» من بورسعيد إلى الإسماعيلية ومن هناك ركب جلالته القطار «الديزل» إلى القاهرة.

وللذين لا ينظرون إلا لمظهر الأمور بدت هذه الرحلة البحرية كأنها نزهة أراد المليك أن يتمتع بها ترويح للنفس بعد عناء الزيارة الرسمية.

غير أن الذين تشرفوا بمرافقة جلالته في اليخت الملكي رأوا أنه إذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما في أثناء هذه النزهة فهذا الرجل هو الملك..

فقد سأله قائد بحرية جلالته ليلة مغادرته بورسعيد عن الموعد الذي

---

(1) في شهر مارس ١٩٤٤

يأمر بأن يبحر فيه اليخت الملكي من مرساه، فكان رد جلالته: «الساعة السادسة صباحا إن شاء الله، ويكون الناس في تلك الساعة نائمين أو لا يزالون في بيوتهم فلا نكلفهم مؤوية المجيء إلى المرفأ لتوديعنا».

ولما علم بعض رجال الحاشية أن اليخت الملكي سيبحر في الساعة السادسة صباحا استغربوا ذلك وقالوا إن صوت آلات اليخت عند إبحاره سيزعج جلالة الملك في تلك الساعة المبكرة فلا يستطيع النوم بعد ذلك.

ولم يكن الذين تبادر إليهم هذا الظن يعلمون ما سيعمله الملاك عند فخر الغد.. بل قيل أن ينبثق الفجر..فقد استيقظ بعض منهم في نحو الساعة الخامسة صباحاً وارتدوا ملابسهم بسرعة ليكونوا على ظهر اليخت قبل الساعة السادسة فيشاهدوا منظر اليخت عند خروجه من المرفأ.

وظنوا وهم يصعدون الدرج المؤدي إلى ظهر اليخت أنهم لن يلقوا سوى ضباطه ورجاله..ولكن كم كانت دهشتهم عظيمة لما أبصروا جلالة الملك واقفاً في حجرة المراقبة في أعلى اليخت ببدلته البحرية يشرف، وقد امتلأ نشاطا، على إجراءات إبحار اليخت.

وبعد ما أبحر اليخت قضى جلالته معظم الساعات الخمس التي استغرقتها الرحلة في الرد على تحيات الجنود والعمال والأهلين الذين احتشدوا على ضفتي القنال ليحظوا باجتلاء طلعته الكريمة ولو عن بعد.

* * *

وأذيع في أواخر شهر مارس الماضي[٢] أن جلالة الملك سيقصد باليخت الملكي الخاص «نخر البحار» إلى البحر الأحمر في رحلة بحرية تستغرق أياما للراحة والاستجمام.

فإنه على إثر شفاء جلالته من حادث السيارة الذي حدث له وعودته إلى القاهرة من «القصاصين» نصح له الأطباء بتبديل الهواء فترة من الزمان بعيدا عن مهام الملك وأعبائه، فلم يصغ يومئذ إلى نصيحتهم لأن بعض تلك المهام والأعباء كان يقتضى وجوده في العاصمة ومنها استقبال الوفد اللبناني.

ثم أرجأ رحلته بسبب زيارته لأعلى الصعيد على الرغم من إلحاح الأطباء عليه بعدم السفر. وعاد فأرجأها مرة أخرى إلى ما بعد زيارته الرسمية للقصاصين و بورسعيد. ثم عين جلالته موعد رحلته البحرية.

ولكنه ما كاد يصعد إلى اليخت الملكي حتى فاجأ الذين كانوا بمعيته بأن الرحلة لن تكون رحلة راحة واستجمام كما قيل، بل ستكون، قبل كل شيء، رحلة علمية للارتياد والاستطلا ع

وقطع جلالته ١٥٦٨ ميلا بحريا في أربعة عشر يوما، زار في خلالها الجزر الصخرية التي في خليج السويس ليستقصى بنفسه عن مقدار ثروتها المعدنية، وزار كذلك الجزر التي في خليج العقبة، وزار في طريق عودته البلاد التي على شاطئ البحر الأحمر كالغردقة وسفاجة والقصير.

---

(٢) مارس سنة ١٩٤٤

واغتنم جلالته فرصة وجوده في سفاجة فقطع بالسيارة نحو خمسمائة كيلومتر تفقد فيها آبار الماء في تلك المنطقة وأخذ عينات منها لتحليلها كيماوية، وأشار مما يجب عمله لإصلاح حالة تلك الآبار خدمة للعربان الذين يشربون منها، وفي كل مكان نزله جلالته كان يأمر بتوزيع الأقمشة والكساوى والسكر والشاي على فقرائه.

وصادف اليخت الملكي زوابع وعواصف قوية حتى ظن أن جلالته سيأمر بعدم إتمام الرحلة، ولكنه أبى تعديل شيء من برنامجها، فقد أراد أن يطبق على رحلته البحرية ما يطبقه على رحلاته الصحراوية وهو أن يعيش عيشة الجنود وأن يختبر بنفسه هذه المعيشة في جميع أطوارها.

وليس أدل على الصبغة الديمقراطية التي تصطبغ بها رحلاته من أنه لما عرج على «العقبة» وطاف أرجاءها و قابل حاكمها ووزع الأقمشة والكساوى على فقرائها لم يفطن أحد إلى حقيقة شخصه على نحو ما ذكرته الصحف في حينه، فقد حسبوه كبيرا مصرية لا أكثر، ولم يكن يهم جلالته أكثر من أن يذكر اسم مصر بالخير والثناء!

الفصل الثالث

كثرة معلومات جلالته وحبه للاطلاع والقراءة

ولما عدت من أسوان بعد تشرفي بلقاء جلالة الملك فيها سألني كثيرون الأسئلة التقليدية التي توجه إلى المرء في مناسبة كهذه.

قلت لهم إن الله حبا ملكنا بتلك القوة الخفية العظيمة التي تجذب إليه القلوب، وكلما ازددت شرفة بمعرفته ازددت تعلقا به فلا غرو إذا سمى الملك المحبوب.

وتسمع أن جلالته يعرف كثيرة، وأنه يعي أشياء كثيرة، وتقرأ في تصريحات كبار الأجانب الذين يتشرفون بمقابلته أنه يبهرهم بحديثه ويدهشهم معلوماته، كل ذلك صحيح ولكنه أقل من الحقيقة والواقع.

وكنت في شهر ديسمبر الماضي(٣) أتغدى على مائدة دولة سعد الله الجابري بك رئيس الوزارة السورية في دمشق مع بعض الوزراء والنواب والزملاء السوريين، جاء ذكر جلالة الملك فقال دولته للحاضرين: «لا أخفي عليكم أنني قبل أن أتشرف بمعرفة الملك فاروق كنت أظنه ملما بما يتسنى لملك كثير المشاغل أن يلم به لا أكثر، فلما تشرفت بمعرفته أدهشني بطلاوة حديثه و غزارة معلوماته سواء كان ذلك في الشؤون الداخلية أم في الشؤون الخارجية، وبهرني بما يعرفه عن

---

(٣) ديسمبر سنه ١٩٤٣

بلادنا ومراحل قضيتها و بما يعلمه عن رجالنا واحداً واحداً وعن دقائق أحوالنا المحلية، فإذا تحدثت عن جلالته بما يطابق إعجابي به شعرت بشيء من الخجل خوفا من أن يقول الذين يصغون إلى حديثي إنني أبالغ في الوصف، والواقع أني مهما وصفت وأطنبت فلست قادرا على الإعراب عما تركه جلالته في نفسي ولذلك أؤثر عدم الكلام».

والذين يعرفون دولة سعد الله الجابري بك يعرفون عنه أنه ليس من الرجال الذين يتأثرون بسهولة، كما أنهم يعرفون عنه أن اختلاطه بالكبراء والعظماء ليس حديث العهد فيقال إن مقابلاته لملك مصر بهرته، وهو من جهة أخرى لم يشتهر بالسخاء في كيل المديح والإطراء للكبراء والعظماء فيقال إنه تحدث عن الملك فاروق باللهجة التي ألف الناس سماعها منه عن كل ذي سلطان أو صولجان.

وعلى ذكر جلالة الملك ودولة سعد الله بك يطيب لي هنا أن أنوه بحادث طريف قد يكون صغيرة في نفسه ولكنه عظيم المغزى لمن يتأمل في دلالته.

ففي خلال أحد أحاديثهما أوصى جلالة الملك كبير وزراء سوريا خيرا بأصحاب فندق «أوريان بالاس» وهو الفندق الوطني الكبير في دمشق، فقد سر جلالته أن يقدم بعض الوطنيين على إنشاء أكبر فندق فيها، ولكنه علم أن إيراد الفندق لا يغطي جميع نفقاته مع أن جميع الآراء التي سمعها متفقة على أنه خليق بالتشجيع والمساعدة، فأكبر دولته هذا الشعور في جلالته ووعد بأن يعير الموضوع ما يستحق من عناية.

ولما عاد سعد الله بك إلى دمشق وذهب إلى فندق «أوريان

بالاس» قابله صاحبه عند مدخله فما كاد دولته يلمحه حتى قال له: «وحتى أنت يعرف الملك فاروق عنك!»

* * *

أما فيما يتعلق بأحوال مصر بالذات، فالحقيقة هي أن الملك يعرف عنها أكثر جدا مما نظن وهو محيط بشؤون البلاد والشعب أكثر جداً مما يتبادر إلى الذهن، وأؤكد أنه يعرف عن مصر ما لا يعرفه عنها كثيرون من المشتغلين بالشئون العامة.

قال لي مرة معالي احمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي إنه كثيرا ما يذهب إلى الملك بمعلومات وهو يظن أنها لم تصل إلى علم جلالته بعد فيجده محيطا بتفاصيلها أكثر منه.

ولما تشرفت بمعرفة جلالته ظهر لي أن ما أفضى به إلى حسنين باشا هو الحقيقة بعينها خالية من كل مبالغة.

فالملك في حرصه على خير بلاده ورفاهية شعبه يتتبع أحوالها بعناية بلغ من فرط تدقيقه فيها أن كل كبيرة وصغيرة في شؤون المملكة تلقى ما هي جديرة به من التفاته واهتمامه.

بل إن الواقع يتجاوز ذلك، فقد يسألك جلالته سؤالا ما فتردد في الجواب عنه أو تحاول أن تجاوب جوابا مقتضبا عاما، أو سطحيا مجملا، فيفاجئك جلالته بما ينم على أن الحقيقة ليست غريبة عنه، فتسائل نفسك من أين لجلالته كل ما يعلمه؟

وليس في ذلك سر، فإن بعض الناس يتوهم أن الملك المقيم في قصره لا يرى من مصر كثيرة ولا يعلم عن أحوال مصر إلا ما يصل إلى سمعه أو ما يقرأه في التقارير التي ترفع إليه، ولكن الذين يتوهمون ذلك يخطئون خطأ عظيما، فالملك دائم الاختلاط بشعبه و إن لم يفطن الناس دائما إلى شخصه، وكلما سمح له وقته بالخروج من القصر متنكرا فعل ذلك، وقد يركب أول مركبة يصادفها في طريقه ويطلب من سائقها أن ينطلق بها في الأحياء الوطنية، وهناك يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة.. هذه الطبقات التي لم تفتأ تلقى من عطفه و بره ما يعجز البيان عن وصفه.

ومن ذلك أنه قابل مرة الأستاذ حامد جودة وزير التموين في وزارة دولة حسين سري باشا وبحث معه شؤون التموين بحثا وافيا أدهشه، ولكن دهشة الوزير كانت أعظم لما قال له جلالته إن الرقابة ضعيفة في السلخانة، و إنه ذهب بنفسه إلى مكان يشاهد منه المواشي التي تدخلها فتبين له أن الأمر الخاص بأن يقتصر الذبح على ذكور المواشي لا يحترم على الوجه المرغوب فيه، ثم قال الوزير إنه عرج على مكان كذا في جهة كذا فألفاهم لا يخلطون الدقيق بالنسبة التي عينها الأمر العسكري.

ويجد جلالته في قوة بنيته ما يساعده على ذلك،فيتعب الجميع ولا يشكو هو تعبأ ما، ففي رحلاته الصحراوية ترى جلالته آخر من يأوي إلى فراشه وأول من يستيقظ مبكرة مع أنه دائماً أكثر أفراد القافلة حركة ونشاطا وصعوداً ونزولاً.

وفي أسوان كنت أراه في كل مكان دائب الحركة والنشاط لا يعرف شيئا اسمه القيلولة، فهو بعد الغداء مثله قبل العداء مستعد دائما للعمل والاطلاع.

* * *

أما في القصر فشعاره «لا عمل يؤجل إلى الغد» ولو اقتضى ذلك بقاءه في مكتبه معظم ساعات النهار وجانبا من ساعات الليل.

ويندر أن يعرض عليه تقرير أو مذكرة أو بحث من دون أن يسجل عليه قلمه الأحمر ما يدل على أنه اطلع عليه اطلاعا وافيا واستوفى درسه.

ومما يساعده على كثرة الاطلاع أنه سريع القراءة مع التيقظ التام لكل عبارة أو فقرة تستوقف النظر، وله في ذلك نوادر كثيرة تدعو إلى الاستغراب العظيم، ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أنهم عرضوا على جلالته مرة مقالا لأحد الكتاب يصف به حفلة شهدها جلالته، وكان مما قاله الكاتب إنه كان في الحفلة «بوفيه على الواقف» فابتسم جلالته وقال بما هو مأثور عنه من سرعة الخاطر: وهل رأي الكاتب «بوفيه» على القاعد؟!

ويطالع جلالته الصحف والمجلات الكبيرة بتدقيق تام وهذا عدا القصاصات التي ترفع إليه يوميا، وفي كل يوم تتلقى مكاتب الديوان الملكي عدة مذكرات من جلالته بأمور يرغب في الاستفسار عنها أو يريد تفاصيل جديدة في شأنها تعزز المعلومات التي عنده عنها، وهي تتصل عادة بمرافق الدولة العامة وشؤون الشعب الحيوية، فتجمع مكاتب الديوان الملكي البيانات المطلوبة من الجهات المختصة وكثيرا ما تجهل

هذه الجهات أن الملك نفسه هو المهتم بالموضوع إذ لا يتبادر إلى أذهان القائمين بالأمر فيها أن وقت جلالته يتسع لذلك كله، ومن الأمثلة التي تحضر لهذه المناسبة أن جلالته قرأ مرة في بعض الصحف أن بعضهم شكا إليها من أن وزن الرغيف بالإسكندرية أقل من وزنه بالقاهرة، فأمر بالاستفسار عن هذا الخبر، أصحيح هو أم غير صحيح؟ فإذا كان صحيحا فما الباعث على هذا التفاوت في وزن الرغيف في العاصمتين، ومن هذا المثال البسيط يستطيع القاري أن يدرك مدى تتبع جلالته لأحوال البلاد، ومقدار عنايته بتحري جزئيات شؤونها العامة ولا سيما إذا كان لهذه الشؤون صلة بحياة الشعب اليومية.

وإذا كان لجلالته شكوى من المكاتب التي يتألف منها الديوان الملكي فهذه الشكوى هي أن هذه المكاتب لا ترفع إليه البيانات أو التقارير التي يطلبها منها بالسرعة التي يريدها، مع ما يسود تلك المكاتب دائما من نشاط ولكن أنى لنشاطها أن يجارى نشاطه فإنه إذا انهمك في عمل ما وخشي أن تحول أعمال الغد دون تمكنه من الرجوع إليه خصص به السهرة كلها ولو ظل ساهرا معظم ساعات الليل.

* * *

ويطلع جلالته بانتظام على طائفة كبيرة من الصحف والمجلات الغربية، فيحيط بتقدم الحضارة والعلوم والفنون إحاطة مستمرة، وهو يتلقي فوق ذلك قصاصات من جميع المقالات والأخبار التي تنشر عن مصر في الخارج.

ولجلالته شغف عظيم بالكتب تجلى فيه منذ حداثته، ولما كان في انجلترا كان ينفق جل ماله على اقتناء الكتب، وفعل جلالته مثل ذلك لما زار فرنسا وسويسرا، فاجتمعت عنده مكتبة خاصة كبيرة من ذلك الحين ثم أخذت تنمو على مر الأيام، وهي اليوم تملأ عدة حجرات كبيرة برمتها في الجناح الذي أفرده لها في قصر القبة، ويتولى بعض الموظفين تنسيقها وتبويبها بإشراف جلالته، وللكتب العربية من كل نوع نصيب وافر فيها.

ولا يكتفي جلالته باختيار أحسن الكتب التي تصل إلى المكتبات الكبيرة في مصر، بل يترقب بشوق ما يرد من النشرات التي يتلقاها تباعا من أشهر بيوت النشر في الخارج عن أحدث مطبوعاتها في شتى الفنون والعلوم والشؤون فيرسل فورا في طلب ما يقع عليه اختياره منها، وبهذه الكيفية يتتبع جلالته كل جديد مفيد، يساعده على ذلك ما يتمتع به من ذاكرة قوية و بديهة حاضرة.

حدث عند تشريفه للمطار الأمريكي الكبير بزيارته لمناسبة رحلته الجوية إلى الإسكندرية (وسيجد القارئ حديثا عن هذه الرحلة في فصل تال) أن دعاه القائد الأمريكي إلى مشاهدة طائرة حربية من نوع جديد، وقبل أن يشرع الضابط المختص في توجيه نظر جلالته إلى الجديد في تلك الطائرة كان جلالته يحدثه عنها حديث الخبير المطلع، وفي تلك اللحظة رأيت ضابطا أميركا ينظر إلى زميل له نظرة من يقول له: «ليس هناك جديد لا يعرفه هذا الملك».

ولما اشترى جلالته أخيرا اليخت الملكي «فخر البحار» سمعته يتحدث حديثا طويلا عن أشهر اليخوت في العالم وتاريخها والفوارق التي بينها، وأؤكد للقارئ أن جلالته لو كان يقرأ حديثه في كتاب أمامه لما جاء أكثر من ذلك طلاوة ودقة، وكان سعادة السيد نعمان طاهر سيمن وزير تركيا المفوض حاضرا فذكر اليخت الذي كان للمغفور له الغازى كمال أتاتورك فانتقل جلالة الملك حالا إلى التنويه بأهم مميزاته.

ومن المعلوم أنه ليس لمصر في بلاد كالبرازيل مصالح تذكر. ومع ذلك قال لي سعادة المسيوباربوزاكارنيرو وزير البرازيل المفوض في مصر إنه لما تشرف بمقابلة جلالة الملك لأول مرة بعد تقديم أوراق اعتماده أدهشه جلالته بوفرة معلوماته عن البرازيل.

ثم قال لي سعادته:ومن مدة قصيرة مر بمصر وزير المكسيك المفوض في روسيا وهو دبلوماسي ومحدث قدير فبعد ما تشرف بمقابلة جلالة الملك فاروق جاءني يقول: «لقد أذهلني حديث الملك عن المكسيك فكأنما عرفها وأقام بها».

ومما يدل على شدة اهتمام جلالته بمطالعاته أنه لما اتسعت ميادين القتال في روسيا وقفت سيارة خاصة مساء ذات يوم أمام مكتبة شهيرة في وسط العاصمة،ونزل منها ضابط بملابس الطيران وسأل عن خارطة كبيرة لروسيا فأطلعوه على عدة خارطات فاختار بعضها ودفع ثمنها وانصرف.

وبينما كان يهم بركوب سيارته عرفوه فقالوا: جلالة الملك.

وكان جلالته في حاجة إلى هذه الخارطات ليتتبع عليها أنباء سير القتال فذهب إلى المكتبة واشتراها بنفسه.

ومن ألطف ما سمعته عن ولع جلالته بالقراءة أنه لما كان يطلب العلم في انجلترا وهو أمير لاحظ عليه رائده أحمد محمد حسنين باشا أنه بعد ما يدخل حجرة نومه يطيل السهر في المطالعة، فوجه نظره إلى ذلك واتفق معه على الساعة التي يترك فيها سموه الكتاب ويطفئ نور الحجرة، ولكن معاليه لم يلبث أن لاحظ بعد أيام أن فترة المطالعة في السهرة كادت تعود إلى عهدها السابق فصنع لمصابيح حجرة سموه مفتاحا يصل شريطه إلى حجرته هو،فإذا حل الموعد الذي عينه لنهاية المطالعة أطفأ أنوار حجرة سموه من حجرته، وكان معاليه يرضى من وقت إلى آخر أن يمد الموعد نصف ساعة إذا طلب منه سموه ذلك.

وبعد ما نفذ حسنين باشا هذه الخطة ظن أن في استطاعته أن يطمئن إلى أن سموه ينام في الموعد الذي عينه فلا يكاد معاليه يدير المفتاح الذي عنده ويطفئ الأنوار حتى ينام ملء جفنيه.

غير أنه حدث بعد مدة أن استيقظ حسنين باشا مرة في ساعة متأخرة وخرج من حجرته فخيل إليه أنه يلمح نورا منبعثة من حجرة الأمير وأن النور انطفأ فجأة في اللحظة التي فتح فيها باب حجرته، فلما أصبح الغد لم يكاشف سموه بما استوقف نظره لئلا يكون قد توهم أنه رأى نورة في حين أن لا نور هناك.

وانقضت فترة أخرى من الزمان، وفي ذات ليلة استيقظ حسنين

باشا اتفاقا مرة أخرى وأراد أن يذهب إلى مكتبه فما كاد يفتح باب حجرته حتى انطفأ نور كان يتسرب من حجرة الأمير، فدهش لذلك دهشا عظيما ولكنه لم يقل لسموه شيئاً لما التقى به في الصباح فقد أراد أن يكتشف السر بنفسه قبل أن يخاطبه في الأمر.

وبعد أيام كان الخدم ينظفون حجرة الأمير وقد وقف سموه ينسق بعض حاجاته الخاصة فمر بهم حسنين باشا ولما أبصر الأمير حياه ودخل الحجرة وفي خلال حديثه معه حانت من معاليه التفاتة إلى أعلى خزانة الملابس فلمح على سطحها مجموعة من البطاريات الكبيرة لتوليد النور وكان سموه قد اشتراها ليستعيض بها من الكهرباء مادام رائده يأبي عليه السهر والقراءة بعد ساعة معينة، فلم يتمالك حسنين باشا من الضحك ولكنه أوعز بنقل تلك البطاريات من مكانها، ورضي الأمير بنقلها متبرماً.

* * *

والفاروق في حبه للاطلاع متعدد النواحي، بل يمكن أن يقال إنه ليس لشغفه بالاستزادة من الاطلاع حد، فكل شيء يستحق الاهتمام بهمه ويلذ له، في الفنون وفي العلوم على السواء. والأغرب من ذلك أنه يجد لكل ضرب من ضروب هوايته وقت، وقليلون يعلمون مثلا أن المتحف الحربي الخاص الذي أنشأه المغفور له الملك فؤاد في قصر عابدين غدا في عهد الفاروق متحفا عظيما يضم بين جوانبه مخلفات كثيرة لا مثيل لها في متاحف أخرى، وهو إلى جنب ذلك شديد الشغف يدرس النقود القديمة وعنده مجموعة نفيسة منها،ويعنى جلالته عناية

كبيرة بتكملة مجموعة طوابع البريد الثمينة التي خلفها له والده العظيم، وعنده مجموعة نادرة من الساعات القديمة على اختلاف أنواعها، و إذا كنت أنوه بذلك فليس التنويه على سبيل الحصر بل على سبيل المثال للدلالة على تعدد النواحي التي يشغل بها جلالته نفسه في أوقات الفراغ والترويح عن النفس.

ومما سمعته مرة عن جلالته في هذا الصدد أنه لما كان في سويسرا قدم أحد الأجانب إلى رجال الحاشية مجموعة من الميداليات القديمة وقال إنه يرغب في بيعها لملك مصر وكان عددها أربعة آلاف مدالية.

ومع أنه لم يكن بينها سوى ١٥٠ ميدالية تستحق الذكر أمر جلالته بشرائها كلها مساعدة للرجل،فاشتروها وأدخلوها عليه وهم يظنون أنه سيرجئ الاهتمام بها إلى حين عودته إلى مصر.

ولكن في صباح اليوم التالي عادوا أن جلالته سهر الليل بطوله حتى الساعة السادسة صباحا في «جلاء» تلك الميداليات وتنظيفها مع ثلاثة من أبنائه الخصوصيين، فلما تشرف رائده بمقابلته قال له: «ارفع هذا الغطاء يا باشا» فرفع حسنين باشا الغطاء فأبصر أربعة آلاف مدالية تلمع أمامه فقال جلالته عندئذ باسم: «والآن يمكننا أن نختار النفيس منها».

ولا يكاد جلالته يجد شيئا ينفع مؤسسة مصرية حتى يقتنيه من الجيب الخاص ويرسله إليها. وفي متحف سكة الحديد ومعهد الأحياء المائية في الإسكندرية وغيرها من المؤسسات المصرية العامة شواهد كثيرة على ذلك.

وما دخلت مرة المتحف الحربي إلا قال لي أمينه إنه تلقى هبة جديدة من جلالته،فأضافها إلى هباته السابقة المتعددة سواء أكان ذلك أسلحة أم كتبة عسكرية نادرة.

وكان جلالته جالساً على شرفة الفندق بأسوان جاءه أحد رجال الحاشية يقول إن بالباب رجلا معه تمساح يروم بيعه لجلالته.

فقال بعض الحاضرين: وماذا يريد مولانا من التماسيح؟

أما جلالته فقال: هل يريد الرجل بيع التمساح إرضاء لنا أم لحاجته إلى المال؟

فقال الرسول: لحاجته إلى المال يا مولاي.

فقال جلالته على الفور: لا تردوه إذاً، بل اطلبوا منه أن ينتظر عودتنا من رحلتنا في الصحراء ثم اشتروه منه وأرسلوه إلى حديقة الحيوان في الجيزة فيستفيد الرجل وتستفيد الحديقة.

وكثيراً ما يصل إلى مسامع جلالته أن بعض التحف والطرف ستباع في مزاد علني وأنه يخشى أن تتسرب إلى الخارج فيوفد إلى حيث المزاد منيشتريها له باسمه لا لحاجته إليها في معظم الأحيان بل ليطمئن على بقائها في مصر.

وهو بدافع من هذا الشعور نفسه يشتري من أوربا أشياء كثيرة يرى أن مصر أولى بها من كل بلد آخر مهما يكلفه ذلك من مال وإن كانت ظروف الحرب قد حدت من هذه المشتريات طبعا، ومن الأشياء التي

جمعت من أوروبا بهذه الكيفية مجموعة من الصور التاريخية الملونة النادرة للوحدات التي كان الأسطول المصري يتألف منها في عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير

الفصل الرابع
ديمقراطية جلالته وجولاته وزياراته غير الرسمية

لما زرت أنقرة في سنة ١٩٣٤ دعاني السيد شكرى قايا وزير الداخلية التركية إذ ذاك إلى العشاء في مطعم «كاربتش» وهو مطعم معروف لكل من زار العاصمة التركية الكمالية وقد أنشأه أحد الروس البيض كما كانوا يسمونهم في ذلك الحين، فلم يلبث أن أصبح ملتقى أقطاب الحكومة التركية والنواب ورجال السلك السياسي وسيداتهم وأصدقائهم.

وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث في أثناء العشاء فتح باب المطعم ودخل رجلان لم يستوقف دخولها نظرى لأنهما دخلا كما يدخل سائر الناس ولم أتبين ملامحهما لأن طوق معطفيهما كان مرفوعا إلى أعلى ولأنهما اتجها بسرعة إلى مائدة خالية، فالتفت إلى شكري قايا وقال لي: «أتعلم من هو أحد الرجلين اللذين مرا بنا من لحظة؟» وعندئذ حدقت النظر فيهما فعرفت في أحدهما حالا الغازى كمال أتاتورك وقد جاء ليتعشى مع أحد أصدقائه كما يجيء الناس جميعا، واحترم الحاضرون رغبة معروفة عنه فلم ينهض له أحد ولم يسلم عليه أحد، وحدثني وزير الداخلية فقال إن الغازى يكثر من التردد على هذا المطعم وعلى بعض الأندية والمحال العامة بصفة غير رسمية و بالبساطة التي رأيناه بها في تلك الليلة حتى إن الزائر الغريب لا يشعر بوجوده إلا إذا

نبهه أحد إلى ذلك لأنه يأبى عندما يخرج بصفة غير رسمية أن يحاط بمظاهر المراسم التقليدية.

وبعد قليل تلقي شكري قايا إشارة بأن يذهب إلى مائدة الغازي، ولما انصرف خامه دعاني الوزير إلى زيارة نادي الأناضول،وهناك كذلك وجدنا الغازى جالسا في إحدى حجراته مع بعض المقربين إليه، ومضى شكرى قايا في حديثه عن رئيسه فقال: إن الغازي يسبب لي تعبا شديدا،لأنه يذهب إلى كل مكان عام يطيب له الذهاب إليه بدون أن يصحبه حرس، فاليوم هنا وغدا في السينما وبعد غد في القهوة المجاورة لمزرعته التي رأيتها أمس وإذا علم أن رجالي يتبعونه غضب غضباً شديداً.

وفي اليوم التالي ليوم مقابلتي الرئيس عصمت إينونو دعاني صديق تركي إلى مشاهدة سباق الخيل فرأيت الرئيس عصمت جالساً في مقصورته،فدعاني إليها ثم قال لي: «ما رأيك إذا ألقينا نظرة على الجياد التي ستشترك في السباق؟» وغادر فخامته مقصورته إلى المكان الذي عرضوا فيه الجياد وكان مزدحما بالناس فشق طريقه بينهم وهو بدون قبعته من غير أن يفطن كثيرون إلى شخصه ولا أن يجرؤ أحد على توجيه نظرهم إلى وجوده بينهم، وذلك عملا بتعليماته عندما يخرج بصفة غير رسمية، واحترم مواطنوه مشيئته كما احترموا مشيئة الغازي فلم يزعجه أحد بتحية في غير وقتها أو بحديث في غير محله.

وزار «دوق وندسور» مصر لما كان لا يزال وليا للعهد وكانوا يسمونه «برنس أوف ويلس» وكان شقيقة المرحوم «دوق كنت» يرافقه

في الزيارة التي نتحدث عنها هنا فأعربا يوما عن رغبتهما في تسلق الهرم الكبير،فقيل لها إن تسلقه لا يخلو من مشقة وخطر فأصرا على رأيهما وذهبا إلى الأهرام ببدلتين عاديتين حتى إذا وصلا إلى المكان الذي كان الدليل ينتظرهما فيه نزعا البنطلون الطويل وتسلقا الهرم الكبير «بالشورت» بسرعة أدهشت جميع الحاضرين.

وكنت بلندن فدعاني المستر عبد الله فيلبي المستشرق المعروف إلى زيارته في ناديه وهو من أشهر الأندية الانجليزية وبينما كنا جالسين في إحدى قاعاته أقبل البرنس أوف ويلس مع ياوره، فانتظرت أن ينهض الجالسون في القاعة احتراما له، فلم انهض أحد وقال لي المستر فيلبي: «هذا أميرنا» ولم يقل أكثر من ذلك واستمر في حديثه كما استمر جميع الحاضرين في أحاديثهم كأنهم لا يعرفون ولى العهد، ولكني قلت لمضيفي: «ألا تقفون عند ما يجيء البرنس أوف ويلس؟» فابتسم وقال: «كلا. لأنه هو لا يريد ذلك وكل ما هنالك أنه إذا أقبل على ركن من أركان النادي ليجلس فيه نهض الجالسون في ذلك الركن تحية له فيرد لهم التحية،وينتهي الأمر عند ذلك فلا يخاطبه أحد إلا إذا أراد سموه مخاطبته ولا يسلم عليه أحد،إلا إذا أراد سموه أن يسلم عليه».

وفي براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا رأيت الرئيس مازاريك يخرج من قصر رياسة الجمهورية وحده ممتطيا صهوة جواده ليتنزه في حدائق براغ العامة وكان فخامته يومئذ قد جاوز السبعين.

والذين يعرفون المستر كو تريل من رجال السفارة البريطانية

السابقين في مصر – وهو الآن في السودان – يعرفون أن قرينته من أبرع لاعبات «التنس» وهي تحتفظ بصور فوتوغرافية صورت لها ولجلالة الملك جوستاف ملك السويد الحالي وهما يلعبان التنس معا في الريفييرا بفرنسا، فإنه كثيرا ما كان جلالته يتردد على تلك البقعة العالمية الشهيرة ويختار للعب التنس معه أبرع اللاعبين واللاعبات غير متقيد بالقيود الرسمية بحال ما.

وذات مرة رأيت جلالة الملك ألبرت ملاك البلجيك جالسا على مقعد خشبي في حديقة عامة جنبا إلى جنب مع المسيو هانس السياسي البلجيكي الكبير دون أن يخطر لكثيرين من الذين كانوا يمرون بهما أن هذا الرجل الذي يجلس تلك الجلسة المتواضعة هو ذلك العاهل العظيم، وأن الرجل الآخر الذي كان يدخن سيجارته في أثناء حديثه معه هو المسيو هيمانس.

ومن المأثور عن جلالة الملك كرستيان ملك الدنمرك أنه كثيرا ما يرى راكب دراجته أو جواده في شوارع كوبنهاجن أسوة بالسواد الأعظم من أفراد شعبه.

وفي انجلترا نفسها،وهي البلاد التي اشتهرت بالتقاليد،يذهب جلالة الملك جورج السادس وجلالة الملكة اليزابث إلى دور السينما والتمثيل العامة كلما خطر لها أن يفعلا ذلك، ومن مدة غير بعيدة جاء في التلغرافات أن كريمتهما الأميرة اليزابث والأميرة مارى روز اشتركتا في حفلة تمثيلية أقيمت للترفيه عن الجنود.

وكان المغفور له الملك فيصل الأول أول ملك عربي قاد سيارته بنفسه في جولاته وتنقلاته غير الرسمية، وكثيرا ما شاهده البغداديون يقود سيارته ببغداد ولا يرافقه أحد من رجال حاشيته سوى ضابط من ضباط ياورانه، ولما سافر إلى أوروبا بحراً في سنة ١٩٣٣ نشرت المجلات المصورة صورا كثيرة تمثله وهو يلعب لعبة «دك تنس» (التنس على ظهر المركب) مع بعض المسافرين بالباخرة عينها من سيدات ورجال وقد نزع سترته وعلقها بنفسه على عمود من الأعمدة الخشبية على ظهر المركب،فكانت ديمقراطيته وروحه الشعبية موضع إعجاب الجميع وثنائهم.

نرى من ذلك أن الحكام أدركوا أن لكل زمان أحكامه ومقتضياته، وأن الحاكم الرشيد هو الذي يعرف كيف يسايرها فلا يدعها تملي عليه مشيئتها، فإذا سايرها أمكنه أن يكبح جماح الطفرة بين شعبه وأن يوجهها توجيهاً معتدلا يوفق بين ما يجب المحافظة عليه من التقاليد القديمة والتحول الاجتماعي الذي لا يمكن إغفاله ولاسيما في الأوقات التي تعقب الحروب لما تحدثه هذه الحروب عادة من تغيير في الأوضاع الاجتماعية.

وأذكر أنه لما تقرر سفر جلالة الملك إلى انجلترا في طلب العلم كان رجاء كثيرين من رائده معالي أحمد محمد حسنين باشا أن يبذل أقصى ما يمكنه بذله، ليتشرب جلالته بالروح الديمقراطية والشعبية الصحيحة فيشب محبة للاختلاط بشعبه قريبا من رعاياه، فما كاد جلالته يعود إلى مصر حتى بادروا إلى الاستفسار من حسنين باشا عما لاحظه من استعداد مليكهم الشاب من هذه الناحية، فكان معاليه يقول لهم:

«اطمئنوا فإن مليكنا ديمقراطي بفطرته و إذا كنت قد احتجت إلى بذل مجهود في هذا الصدد فالمجهود كان لأجل حثه على التقليل من ديمقراطيته».

ومما رواه حسنين باشا لهذه المناسبة أنه بينما كان جالسا يوما في مكتبه في القصر الذي نزل فيه «الأمير» فاروق في انجلترا جاءه من يقول إن الأمير غير موجود في القصر وأن سموه لم يقل لأحد إنه سيغادره، فاستغرب معاليه غياب سموه وأمر الخدم بالتدقيق في البحث عنه، فقالوا إنهم بحثوا عنه في جميع أرجاء القصر ولكن عبثا وإنهم لم يلمحوه في الحديقة كذلك، فاتجه معاليه إلى باب القصر الخارجي ليسأل البوليس الواقف هناك هل رأي الأمير خارجا؟ ولشد ما كانت دهشته لما رأى سموه واقفا يتحدث معه عن أحواله الخاصة وعن حياة رجال البوليس في انجلترا بوجه عام.

ومن بواعث الاغتباط أن جلالة ملكنا نشأ مشبعا بهذه الروح، روح الديمقراطية والشعبية الصحيحة، وعرف أن هذا الزمان أكثر من أي زمان آخر يقضي بأن يتصل رأس الدولة بجميع طبقات شعبه اتصالا وثيقا،ليعرف عنها أكثر ما يمكنه معرفته وليحيط بأحوالها إحاطة مباشرة تامة وليكون صلة الاتصال بين ما يجب المحافظة عليه من تقاليد الماضي وما يجب الأخذ به من التحول الاجتماعي الجديد، وهو التحول الذي قلت عنه في فقرة متقدمة إنه لا يمكن إغفاله، وبذلك يدفع عن شعبه خطر الطفرة.

فكثيراً ما يخرج الفاروق من قصره بسيارته الخاصة وهو يقودها

بنفسه، وكثيرا ما يتنقل في أرجاء المملكة بقطاره الصغير الخاص (الديزل) لكيلا يكلف البلاد مؤونة القطر الرسمية الكبيرة وما تقتضيه الأسفار الرسمية من مراسم وتدابير، وكثيرا ما يتردد في غير أبهة ولا حرس على الجهات التي ينقب فيها العلماء عن الآثار القديمة ليتفقد سير العمل في الكشف عنها، وكثيرا ما يغشى بعض المنتديات العامة وخصوصا في فصل الصيف،فيقضي فيها بعض الوقت ترويح عن النفس، وهناك يراه الناس جالسا إلى مائدة عادية كسائر الموائد، يأكل من الطعام المعد لرواد المكان جميعا، أو يشرب كوبا من عصير البرتقال أو «الكازوزة» – فجلالته لا يحتسي الخمر – أو من القهوة المثلجة وهو يدخن غليونه أو سيجارته وقد يدخن سيجارة من وقت إلى آخر.

وقد يدعو جلالته إلى مائدته بعض الحاضرين من الذين يعرفهم شخصيا فيدور الحديث على شؤون شتى، وفي مثل هذه الجلسات البعيدة عن قيود الرسميات وتقاليد القصور تتجلى ديمقراطية جلالته بأجمل مظاهرها، ويتجلى معها مدى اطلاعه الواسع على شتى الأمور والشؤون.

قال لي مرة ضيف شرف كبير وقد أخذه العجب مما رآه في جلالته في إحدى تلك الجلسات: «إنكم يا معشر الكتاب تصفون لنا ملك مصر في مواقفه الرسمية فلماذا لا تصفونه في جلسة كهذه حيث تتجلى عظمته الشخصية قوية، رائعة، فياضة، في إطار بديع من الديمقراطية الصحيحة... لقد كنت إلى هذا اليوم أحترم ملككم، أما الآن فإني أحترمه وأحبه معاً».

ومن المصادفات اللطيفة أن جلالة الملك جورج الثاني اليوناني وجلالة الملك بطرس الثاني اليوغسلافي كانا يتعشيان ذات ليلة منفردين في منتدى مشهور على طريق الأهرام، فقلت في نفسي إنها تكون مناسبة جميلة لو أقبل جلالة ملكنا وتعشى هنا الليلة كذلك... وبعد دقائق رأيت جلالته داخلا المكان بتلك البساطة التي تزيد جولاته غير الرسمية رونقا وبهاء، فاجتمع ثلاثة ملوك في منتدى عام واحد.

وبعد ذلك بأسبوع مر بالقاهرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله ولي عهد العراق والوصي على عرشه،فأمضى سهرة اليوم الذي وصل فيه في ذلك المنتدى عينه فكان ذلك أيضا مظهرا لتحول جديد. واتفق في تلك الليلة وجود عدد غير يسير من الكبراء المصريين والأجانب ورجال السلك السياسي فسروا بمشاهدة سموه كما سروا قبل ذلك بأيام بمشاهدة صاحب السمو الملكي الأمير بول ولي عهد اليونان.

ويندر أن تقام حفلة خيرية كبيرة لمشروع إنساني جليل أو لمؤسسة مصرية خيرية أو اجتماعية تستحق الرعاية الملكية بدون أن يشرفها جلالته بحضوره،إما بصفة رسمية أو بصفة غير رسمية معاضدة لها وحثا للناس على تشجيعها وتأييدها، وفي الحالتين يأبى جلالته أن يخصص به مكان ممتاز، بل يجلس إلى مائدة عادية كسائر الحاضرين مع بعض رجال حاشيته وضيوفه، كأنما يريد أن يشعر كل فاعل خير بأن الملك يقدر صنيعه قدره وأنه في تقديره للذين يبرون بالفقراء لا يميز كبيرهم من فقيرهم. ألم يقل جلالته في إحدى المناسبات: «إن الملك يكرم كل من

يكرم الفقير.؟ ثم يطوف جلالته أرجاء المكان كأنه واحد من الناس جميعا، وبصحبته واحد من رجال الحاشية لا أكثر، كأنما يريد جلالته أن يحيي جميع الحاضرين وأن يشكرهم و إن لم يخاطبهم، ومما هو جدير بالذكر هنا أن الناس قدروا هذا الروح حق قدره وعرفوا مع اغتباطهم بديمقراطية جلالته، وعلى الرغم من نشوة الفرح التي تستولي عليهم عندما يرونه بينهم، أن يسلكوا من بدء الأمر المسلك الذي يطابق إرادته ويتمشى مع رغبته فلا يقف أحد لتحية جلالته إذا لم يبادره هو بالتحية، ولا يتقدم أحد للكلام مع جلالته إذا لم يدعه هو إليه، فقد علم الناس من اللحظة الأولى أن جلالته يريدهم أن يتمتعوا بحريتهم ولا يشاء أن يكون وجوده بينهم في مثل هذه المجتمعات سببا للحد من هذه الحرية بحال ما، فمن حقه عليهم أن لا يتوسلوا بديمقراطيته ليعكروا صفاء هذا الاختلاط الجميل بين الملك وشعبه.

* * *

وليس أدل على شدة تقدير جلالته لضباط جيشه من أنه يفاجئ ناديهم بزيارته من وقت إلى آخر، فيتعشى مع من يتفق وجوده منهم ويقضي معهم السهرة في جلسة عائلية كأنه واحد منهم.

وكنت مدعواً لتناول العشاء في نادي ضباط الجيش في مساء يوم من شهر فبراير الماضي، وكانت داره حافلة بالضباط من جميع الرتب، وفي نحو الساعة الثامنة والنصف لمحت أحد الضباط الشبان يهرول إلى حجرة جلس فيها سعادة الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان

حرب الجيش مع بعض لواءات الجيش الحاليين وبعض كبار زملائهم المتقاعدين ويقول: "جلالة الملك شرف" فقوا لاستقبال جلالته، وفي أقل من لحظة سرى النبأ في أرجاء النادي كله.

وكان جلالته مرتدياً بدلة القائد الأعلى للجيش، وهذه البدلة وبدلة القائد الأعلى السلاح الطيران هما البدلتان اللتان يطيب لجلالته أن يلبسهما في معظم الأيام اعتزازا بجيشه وتقدير لرجاله، وبعدما صافح مستقبليه اتجه إلى قاعة الاستقبال الكبرى وعلى وجهه أمارات السرور والارتياح، و بعدما تحادث مع كبار الضباط الحاضرين قليلا أبدى رغبته السامية في مشاهدة جميع الضباط الذين اتفق وجودهم في النادي على اختلاف رتبهم، فما كادت هذه الرغبة الكريمة تذاع بينهم حتى أقبلوا مسرعين، فرحين، ووقف جلالته في وسط القاعة يستقبلهم ويصافحهم واحدا واحدا، وقد ارتسم على محياه الوضاح كل ما كان جلالته يشعر به من غبطة في تلك الساعة، وكان الفريق عطا الله باشا يقدم كل واحد باسمه واسم السلاح الذي ينتمي إليه، وحدث عند تقديم أحدهم أن قال عطا الله باشا: «فلان كان في سلاح كذا والآن...» ولم يكمل عبارته فظل جلالته مستوقفا الضابط إلى أن عرف منه السلاح الذي نقل إليه.

وكان الضباط يدخلون القاعة الواحد تلو الآخر في صف طويل بلا تفريق بين رتبهم، فقد أصدر جلالته نطقه السامي بأن يكون الاجتماع عائليا من جميع الوجوه لا مراسم فيه ولا قيود، ولما فرغ جلالته من مصافحتهم جميعاً أخذ يحادث كبار الضباط الحاليين والسابقين ثم قال

لهم: «والآن تفضلوا نأكل معا» وسار في طليعتهم إلى قاعة الطعام الكبرى فتصدر المائدة التي أعدت لجلالته وجلس إلى يمينه الفريق إبراهيم عطا الله باشا فالفريق حسن حسني الزيدي باشا وبعض لواءات الجيش الحاليين والسابقين، وجلس إلى يساره الفريق عمر فتحي باشا ولفيف آخر من الضباط الحاليين والسابقين.

وجلس سائر الضباط الحاضرين إلى الموائد التي نشرت في القاعة المجاورة، وحانت من جلالته التفاتة فلاحظ أن الخدم أسدلوا الستائر التي تفصل بين القاعتين، فأمر برفعها حالا لتظل القاعتان متصلة إحداها بالأخرى وليشعر الجميع بأنهم جالسون في صعيد واحد.

ولما جاءوا لجلالته بأول لون من ألوان الطعام سأل: هل هذا الطعام هو طعام النادي المعتاد؟وهل هو الطعام الذي سيقدم الحاضرين جميعا؟ فأجاب عطا الله باشا بالإيجاب وقال سعادته: «إننا لم نستطع يا مولاي أن نحضر صنفاً زائدا غير الحساء» فقال جلالته باسماً: «ولذلك لم أتناوله» ولم يكن جلالته قد ذاقه فعلاً.

ثم التفت جلالته إلى الأميرالاى فهمي على بك سكرتير النادي وقال له: «أوعوا تكونوا ناويين تاخدوا ثمن العشاء من الحاضرين الليلة.. إنهم جميعا ضيوفي» فقال فهمي بك: «سمعاً وطاعة» فقال جلالته مداعباً: «بس أوعوا تفضلوا ساكتين لغاية ما يدفعوا ثم تبلغوهم أنهم ضيوفي..»

وكانت هذه المداعبة اللطيفة فاتحة حديث اشترك فيه كثيرون من

الذين نالوا شرف الجلوس إلى المائدة الملكية وقد دار جانب كبير من هذا الحديث على الرماية والصيد وعلى أنواع البندقيات القديمة والحديثة، فدهش الحاضرون جميع المعلومات جلالته الفنية عن هذه الأمور كلها ولإحاطته بأشياء كثيرة لا يحيط بها غير الفنيين المتفرغين لها والاختصاصيين المطلعين على أسرارها.

وكان جلالته يسأل الفريق عطا الله باشا بين حين وآخر عن شؤون الجيش ولا سيما ما يتعلق برفاهية الجنود وراحتهم.

ولما انتهى العشاء عاد جلالته إلى قاعة الاستقبال الكبرى، وكأنما أراد أن يعزز الروح العائلي الذي ساد هذا الاجتماع فلم يجلس على الكرسي الكبير المخصص له في النادي بل جلس على مقعد عادي، وأذن للحاضرين في الجلوس حوله، ثم أقبل سائر الضباط ووقفوا عند مدخل القاعة لعدم وجود أماكن فيها لهم جميعاً فلم يشأ جلالته أن يظلوا كذلك فقال لهم بروحه الديمقراطية العظيمة: «تعالوا ربعوا هنا» فأسرعوا وجلسوا على السجاد «متربعين» جماعات في ذلك الجو العائلي الذي أنشأه جلالته وأضفي عليه من فيض مكارمه روح البهجة والسرور.

في تلك الساعة تذكرت صفحة قرأتها في كتب التاريخ عن ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير وكيف كان يطيب له من وقت لآخر أن يمضى السهرة في وسط ضباط جيشه في جو عائلي خال من المراسي والقيود التي يقتضيها مقامه، وها هو ذا الفاروق يقتدي بجده الأكبر ويكتب إلى جنب تلك الصفحة المجيدة صفحة مجيدة جديدة.

صفحة عنوانها: الملك في وسط جيشه، الملك المعتز بجيشه، الفخور به، والجيش المعتز بمليكه، المخلص لذاته، المتعلق بعرشه.

واستمرت هذه الجلسة العائلية حتى الساعة الحادية عشرة،وقد مرت الساعتان كأنهما دقائق بما أسبغه المليك عليها من صفاءورعاية.

ونهض جلالته فنهض الجميع، فودعهم بقوله: «السلام عليكم وإن شاء الله أراكم جميعاً بخير دائماً».

الفصل الخامس

غيرة جلالته على الدين

وهو في الوقت عينه يبرز ما في الإسلام من تسامح

رأينا في الفصل السابق أن جلالة الملك يريد أن يكون صلة الاتصال بين ما تجب المحافظة عليه من تقاليد الماضي وما يجب الأخذ به من التحول الاجتماعي الجديد.

فأقول هنا إنه بينما قضى جلالته من جهة على كثير من التقاليد البالية والتي كان محكوما عليها بالزوال،لأنها لم تعد تطابق روح الزمان الذي نعيش فيه، عمل من جهة أخرى لتعزيز التقاليد التي يرى وجوب المحافظة عليها،وفي مقدمتها كل ما يرفع من شأن الدين ويعلى مقامه في النفوس، ففي معظم أيام الجمعة يخرج جلالته في موكب رسمي لتأدية صلاة الجمعة في الجوامع التي يعينها بنفسه، وهو يختار عادة الجوامع القديمة لأن ذهابه إليها يهيئ لوزارة الأوقاف فرصة حسنة لإصلاحها كما يهيئ لمصلحة التنظيم ظرفا ملائما لترميم الطرق المؤدية إليها، وهذا عدا عشرات الجوامع التي وضع جلالته حجر الأساس في بنائها.

ويصغى جلالته بعناية وخشوع تامين للخطب التي تلقى في المساجد التي يصلى فيها، وهو في كل مرة يصافح الخطيب و يهدى إليه شالا نفيسا من الكشمير، وقد حدث غير مرة أن عانق الخطيب وقبله بدافع من شعوره الديني الجميل.

ولما زار جلالته «اسنا» في أثناء رحلته الأخيرة إلى أعلى الصعيد ليتفقد حالة منكوبي الملاريا حرص على تأدية فريضة الجمعة في جامعها الكبير، فنمى إليه أن الأعيان وحدهم هم الذين سيدعون إلى الصلاة معه، فأصدر أمره الكريم بأن تفتح أبواب الجامع للأغنياء والفقراء على السواء، وبعد ما دخل جلالته الجامع وأخذ مكانه بجوار المنبر استمر الشعب في هتافه فلم يشأ جلالته أن يرتفع في تلك الساعة صوت باسم غير اسم الله عز وجل فأوفد أحد ضباط الياوران إلى خارج المسجد ليطلب من الجماهير المحتشدة في الطرق المؤدية إليه أن تكف عن الهتاف.

ولم يكتف جلالته بتعزيز التقاليد التي تحيط الدين بكل ما يجب له من إجلال، بل أنشأ من التقاليد الجديدة ما يصف أصدق وصف ما يعمر به قلبه الكبير من إيمان عظيم، ومنها تقليد الاستماع إلى الدروس الدينية التي يلقيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في خلال شهر رمضان المبارك، ولكن لعل أعظمها شأنا هو التقليد الذي أوجده في شهر يناير سنة **١٩٤٢** لما أمر بأن يكون الاحتفال بالعام الهجري الجديد احتفالا دينيا عاما وأن يكون له ما للأعياد الرسمية من مقام وجلال.

وترسمت الحكومة رغبات جلالته فقررت أن يكون الاحتفال بهذا العيد احتفالا رسميا عاما في جميع بلاد المملكة، فيطلق **٢١** مدفعاً في العواصم والبنادر التي جرت المراسم بإطلاق المدافع فيها بمناسبة

الأعياد الرسمية للدولة، وتقام في قاعدة كل محافظة وعاصمة كل مديرية حفلة دينية يرأسها المحافظ أو المدير، وتكون هذه الحفلة في أكبر مساجد المدينة حيث يلقي خطيب المسجد أو أحد حضرات العلماء حديثا عن الهجرة النبوية، وكذلك تقام أمثال هذه الحفلة في كل مركز وقرية فيرأس المأمورون والعمد هذه الحفلات في المساجد، وتعهد وزارة الأوقاف إلى خطباء مساجدها في الأقاليم في التحدث إلى المحتفلين عن هذه الذكرى التاريخية.

وما كادت الرغبة الملكية السامية تذاع حتى بادرت جميع الهيئات إلى تحقيقها،فتعددت الاحتفالات بإحياء ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وفي مقدمتها الاحتفال الكبير الذي أقر في نادي ضباط الجيش.

وكان سعادة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وزيرا للأوقاف لما أنشأ جلالة الملك هذا التقليد التاريخي الجليل الشأن فأفضى إلى الصحافة بالتصريح التالي:

«لا يمكن أن تقابل هذه السنة الحسنة الملكية إلا بأعظم شكر من جميع المسلمين في أقطار العالم الإسلامي، فقد كادت السنة الهجرية لعدم اتصالها بشؤون الحياة المادية تمر بالناس غير محسوس بها.

وطبيعي أن تكون الحياة التي يحياها العالم الآن مغمورة بالشهوات والمطامع والتنافس على أعراض الحياة الدنيا مبعدة عن المعاني الروحية السامية والسنة الهجرية إنما هي رمز للتضحية بالنفس والمال لله وفي سبيل الله.

«ولم يكن العالم في حاجة إلى ما يذكره بالله وبالتضحية في سبيله أكثر مما هو اليوم فلا غرو أن يكون توجه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول إلى إحياء ذكرى الهجرة النبوية الكريمة في يوم رأس السنة الهجرية مظهرا بالغ الدلالة على رغبة جلالته في أن يحيي في قلوب الناس المعاني الدينية السامية التي تخفف من حدة المطامع الدنيوية وتسمو بالنفوس إلى المثل العليا التي صورها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة إلى المدينة مهاجرة في سبيل الله».

وفي كل عام يرأس جلالته الاحتفال الكبير الذي يقام في عاصمة المملكة إحياء لذكرى المولد النبوي الشريف، وبعد ما يستمع إلى القصة النبوية الشريفة يعرض وحدات الجيش، وما هو جدير بالذكر هنا أنه عند ما يجيء ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء تلاوة القصة النبوية الجيدة يقف جلالته إجلالا لصاحب الذكرى وإكباراً فيحذو جميع الحاضرين حذوه.

ولما بنيت مدينة الجيش في ضاحية «ألماظة» أوعز جلالته إلى جهات الاختصاص بضرورة بناء جامع للجيش في مدينته، فنفذت الرغبة الملكية وبني الجامع وصلى فيه جلالته أول مرة في يوم ٥ من فبراير سنة ١٩٤٣ محاطا بكبار الضباط العاملين والمتقاعدين.

ولأن الملك فاروقاً قوي الإيمان ويعتز بدينه هذا الاعتزاز كله تراه من جهة أخرى يحرص حرصا شديدا على إبراز ما ينطوي عليه الإسلام من روح التسامح مثبتا أن هذا الدين يستطيع أن يعيش مع سائر الأديان في وفاق ووئام.

ومن ذلك أنه لما كان جلالته يجوب الصحراء الشرقية في شهر يناير سنة ١٩٤٣ عرج على دير سيناء المعروف بدير «سانت كاترين» ولما انتهت زيارته له تفضل وتبرع للدير بأربعمائة جنيه، فقابل الرهبان هذه المنحة بالشكر والدعاء وقال راهب منهم همسا: «هذا كرم من ملك المسلمين» فسمع الملك ذلك فالتفت إليه باسمة وقال له: «إنني ملك المصريين جميعاً».

وعلقت يومئذ جريدة كبيرة على هذا الخبر بقولها: «فهنيئا لمصر ملك صالح متدين هذا شعاره عند ما ينظر إلى جميع رعاياه على اختلاف أديانهم وطوائفهم فلا يهمه منهم سوى أنهم مصريون فيشملهم جميعا برعايته وعطفه، فالدين لله والوطن للجميع والملك للمصريين جميعا».

وجلالة الملك بسيره على هذه السنة الحميدة يسير على سنن جده الأكبر ساكن الجنان محمد على باشا الكبير لا في مصر وحدها بل في جميع البلدان التي امتد إليها حكمه في وقت ما، حتى إنه لما استرد جيوشه من سوريا كتب المسيو باتون قنصل فرنسا إلى حكومته يقول: «إن حكم محمد على كان العهد الذهبي للمسيحيين في سوريا».

ومحمد على باشا الكبير الذي وضع أسس هذه السياسة الرشيدة البعيدة النظر هو الذي أبى قبول ما عرضته فرنسا عليه وهو أن تشترك معه في حملته على طرابلس والمغرب الأقصى والجزائر في مقابل مساعدة عظيمة تسديها إليه في المال والسفن والعتاد الحربي فقال لها وهو يرفض اقتراحها: «إنه لا يستعدي بلدة أجنبية على مسلمين مثله».

ولكن محمد علي كان يرى من جهة أخرى أن عطفه على المسيحيين لا يقلل من غيرته على دينه، بل كان يرى في هذا العطف مظهرا جميلا لفضائل الإسلام،ولما انطوى عليه من روح التسامح والإنسانية، فكفل المسيحيين حقوقهم وحرياتهم وحقق لشعبه وحدة ما زال ينعم بها إلى الآن.

وسار أبناؤه وحفدته على سياسته، فنجت مصر بحكمة هذه السياسة من مشكلة اسمها الأقلية أو الأقليات، فلما انبثق نر الحركة الوطنية رأينا الهلال يعانق الصليب فكان مظهرا من أروع مظاهر هذه الحركة المباركة، وصورة من أبدع الصور الاتحاد العنصرين وتآلفهما في خدمة الوطن.

وتفضل المغفور له الملك فؤاد فتوج هذه السياسة برعايته وتشجيعه، فكان كل مصري ينال من هذه الرعاية ومن هذا التشجيع ما يستحقه بغض النظر عن ديانته أو مذهبه.

وما كاد المرحوم الأنبا يؤنس بطريرك القبط السابق ينتخب بطريركا حتى أهدى إليه الملك فؤاد صورته الكريمة ممضاة منه، فكانت لفتة ملكية سامية تضمنت معاني كثيرة.

ومن بواعث الغبطة والسرور أن تتجلى هذه الروح النبيلة في حفيد محمد على الكبير وابن فؤاد العظيم، وقد قابلت الطوائف المسيحية كلها، فرحة، جذلة، ما قاله جلالته في دير سيناء بما يستحقه من تمجيد وتقدير، لا لأن ما قاله جلالته كان مجهولا منها بل لأنه جاء معززا لما هو

مأثور عنه فزادها ذلك غبطة وسرورا، في الوقت الذي تلقى فيه الأديان ما تلقي في كثير من أنحاء أوروبا يقف ملك مسلم عظيم يحكم كبر بلد إسلامي في الشرق العربي فيقول: «إنني ملك المصريين جميعا» فما أروعها عظة!

ولما تشرف نيافة المطران جوين مطران الإنجليكان في مصر والسودان بمقابلة جلالة الملك فاروق في أواخر الصيف الماضي[٤] بمناسبة عودته من الخرطوم جاء في سياق الحديث ذكر الكاتدرائية الإنجليكانية في جهة قصر النيل بالقاهرة، فنوه المطران الإنجليزي ما لقيه مشروع إنشاء هذه الكاتدرائية من عطف المغفور له الملك فؤاد وخصوصا فيما يتعلق بنزول الحكومة عن الأرض التي بنيت عليها.

وبعد ذلك بأيام تشرف نيافة الدكتور جاربت رئيس أساقفة يورك بمقابلة جلالة الملك بمناسبة مروره بمصر في طريق عودته من روسيا وهو فوق مقامه الديني العظيم في انجلترا يعد من كبار رجال الفكر والاجتماع فيها، فأعجب المليك بحديثه كثيراً.

وعلى إثر عودة رئيس أساقفة يورك إلى دار المطران جوين وهي ملاصقة للكاتدرائية بلغهما أن جلالة الملك سيتفضل بزيارة بناء الكاتدرائية، خفا إلى استقباله بما يليق بمقامه السامي ومعهما مطران بلومفنتين وكبار مساعديهما، وقد أخذتهم روعة فكرة هذه الزيارة ونبلها، وكان بمعية جلالته الدكتور حسين حسني بك السكرتير الخاص.

---

(٤) في شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣

وطاف جلالته بأرجاء الكاتدرائية مبديا اهتماما بالناحية المعمارية والفنية في بنائها، وباللوحات التذكارية التي زينت بها، شأنه في كل ما يمت إلى العلم والفن بصلة.

وبينما كان جلالته يمعن النظر في نوافذ البناء وقف أمام نافذتين منها طليت قضبانهما وأجزاؤها بلون البرونز، ولكن جلالته لاحظ حالا بما له من خبرة في هذه الأمور أنها ليست من البرونز، فنقرها بيده فظهر أنها ليست من البرونز فعلا، وقال المطران جوين إنها ليست من البرونز حقيقة،لأن ظروف الحرب حالت دون ذلك وكانوا يجلبونها من انجلترا.

ومضى جلالته في طوافه والدهشة آخذة من الجميع لدقة ملاحظته وسرعة خاطره، ولما انتهت الزيارة تفضل فشرب الشاي في دار المطران مع المطران جوين ورئيس أساقفة يورك وسائر كبار الحاضرين.

وبينما كان جلالته يهم بالانصراف التفت إلى المطران جوين وقال له إنه سيهدي إلى الكاتدرائية القضبان والأجزاء اللازمة لتلك النافذتين وإنها ستصنع في مصر وبأيدي صناع مصريين، فقابل نيافته ونيافة رئيس أساقفة يورك هذه الروح السمحة والمنحة الكريمة بالشكر الجزيل.

وقال المطران جوين إن هذا اليوم يوم تاريخي في حياته.

وقال رئيس أساقفة يورك إنها أعظم تحية وجهت إليه.

وانصرف جلالته بعد ذلك مودعا بمثل ما قوبل به من مظاهر التجلي والاحترام. وفي الغد ذهب رئيس أساقفة يورك إلى قصر عابدين

وكتب اسمه في سجل التشريفات مكررا شكره وعظيم إعجابه بما تحلى به جلالته من روح التسامح.

وإن الذين زاروا كنيسة القديس بولس في روما يذكرون حتما أن أول شيء كان الدليل يحدثهم عنه هو أن الأعمدة الكبيرة التي يشاهدونها عند بابها الداخلي هي هدية من ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير إلى البابا.

وفي متحف الفاتيكان غير هدية واحدة أهداها محمد على باشا الكبير في مناسبات شتى إلى باباوات روما.

وقد أراد منشئ مصر الحديثة بذلك أن يكشف للغرب عما في الإسلام من روح التسامح وأن يعزز اطمئنان الأقليات المسيحية إلى الحكم الإسلامي.

فالملك فاروق بما عمله سار على نهج والده العظيم وأجداده الأكرمين، فقد أحيت الأسرة العلوية الكريمة سنن الخلفاء الراشدين الذين كانوا يأمرون بإصلاح كنائس رعاياه، وذكرت الناس بما أبداه صلاح الدين من تسامح كان الأوربيون أول المشيدين به وهو التسامح الذي ظل شيمة العرب في الأندلس على منوال يذكره الأسبان إلى اليوم بالإعجاب والإكبار.

* * *

ولا يضارع جمال هذا التسامح الديني إلا ما يبديه جلالته من تقدير

للأجانب الذين يثبتون صداقتهم لمصر وولاءهم للبيت المالك ويخدمون العلم خدمة صادقة منزهة عن كل غرض ذاتي.

ولعل إنعام جلالته على القاضي كرابيتس الأميركي بوسام إسماعيل من الطبقة الثانية بعد وفاته في شهر أكتوبر الماضي يبرز جمال هذه العاطفة أكثر من كل مثال آخر.

فإنه لما أصدر القاضى كرابيتس كتابه عن المغفور له الخديوي إسماعيل باشا تبادر إلى الأذهان أن المغفور له الملك فؤاد هو الذي كلفه الكتابة عن والده، ولكن الحقيقة التي يعرفها المطلعون تنقض ذلك نقضاً تاماً.

فقد كان القاضي كرابيتس يريد أن يؤلف كتابا عن الأميركيين الذين خدموا في الجيش المصري، فاستأذن جلالة الملك فؤاد في الاطلاع على بعض المحفوظات الملكية فأذن له في ذلك.

وبينما كان يراجع تلك المحفوظات وقف على كتب كتبها إسماعيل باشا إلى الجنرال غوردون يحثه فيها بإلحاح على القضاء على النخاسة في السودان، ورأى في هذه الكتب حقائق كثيرة كانت مجهولة عن إسماعيل باشا مع أنها كلها في مصلحته، فأوحت إليه هذه الحقائق بأن يترك مؤقتا موضوع الأميركيين الذين خدموا في الجيش المصري ويتجه إلى درس المجهول من إسماعيل باشا على ضوء المحفوظات الملكية.

وقال القاضي كرابيتس لجلالة الملك فؤاد وهو يستأذنه في

الاطلاع على الوثائق التي يحتاج إليها أنه سيدرسها كقاض فإذا اعتقد أن إسماعيل باشا مظلوم فعلا وضع كتابا عنه بنتيجة دراسته فأجابه جلالته إلى طلبه.

وما كاد ينتهي من درس الوثائق التي طلبها حتى آمن بأن أوروبا افترت على إسماعيل باشا فعول على الكتابة عنه وقرر أن يكون اسم الكتاب «إسماعيل المفتري عليه».

وعلى إثر ظهور الكتاب أراد المغفور له الملك فؤاد أن ينعم عليه بوسام تقديرا لشعوره ومجهوده فشكر لجلالته هذا العطف السامي ورجا منه العدول عن هذه النية، لئلا يقال إن الوسام ثمن للكتاب.

وللقاضى كرابيتس كتاب آخر عن «إبراهيم باشا» وكتابات كثيرة عن مصر تدل على أنه كان صديقاً مخلصاً لها.

وعلى إثر نشوب الحرب الثانية كتبت بعض المجلات الغربية كتابات تضمنت كثيرا من أنواع الافتراء، فانبرى القاضي كرابيتس للرد عليها من تلقاء نفسه بما ينم على ما كان يكنه من إخلاص شديد للبيت المالك الكريم ولصاحب العرش العظيم، فكان لتلك الكتابات وقع كبير في نفس كل من اطلع عليها،وفي أواخر سنة ١٩٤٣ مر جنابه بمصر في طريقه إلى بغداد. واضعا نشاطه وعلمه وخبرته تحت تصرف حكومته فوافته المنية فيها فقوبل نعيه بأسف شديد من جميع أصدقائه المصريين، وكان الملك فاروق في مقدمة الذين تأثروا لوفاته فتفضل وأرق إلى أسرة الفقيد معزية ومواسيا وأصدر أمره بأن يضع القائم بأعمال المفوضية

المصرية بغداد إكليلا كبيرا من الورد باسم جلالته على ضريح الراحل الكريم، ولم يكتف جلالته بذلك بل أنعم على الفقيد بوسام إسماعيل، فحققت هذه اللفتة الملكية السامية رغبة كان المغفور له الملك فؤاد يريد تحقيقها وأظهرت ما ينطوي عليه قلب جلالته من تقدير ووفاء لكل من يحب مصر ويخلص لها ولعرشها.

وليس بين محبى آثار القاهرة الإسلامية من يجهل اسم المسز ديفونشاير فقد كتبت عنها عدة كتب نفيسة باللغتين الفرنسية والانجليزية، وهي منذ الحرب العظمى تنظم جولات أسبوعية لضيوف مصر الأجانب فتطوف بهم أشهر تلك الآثار باسطة لهم كل ما يجب أن يعرفوه عنها، وهذا عدا بحوثها في المجلات العامية وفي المجمع العلمي المصري، وكان المغفور له الملك فؤاد يقدر علمها ونشاطها حق قدرهما ويستقبلها مرتين في السنة ويصغى باهتمام إلى اقتراحاتها عما يحسن عمله لصون تلك الآثار والمحافظة عليها.

وفي اليوم الخامس من شهر أبريل الماضي احتفلت المسز ديفونشاير ببلوغها الثمانين، وبينما كانت جالسة في دارها تطالع برقيات التهنئة التي تلقتها من عارفي فضلها الكثيرين طرق باب الدار رسول من قصر عابدين ومعه كتاب من معالي أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملك يهنئها فيه بعيدها ويبلغها أن جلالة الملك تفضل لهذه المناسبة فأنعم عليها بوسام الكمال من الطبقة الثالثة تقديرا لخدماتها لمصر ما يقرب من نصف قرن.

وقد جاء هذا الإنعام دليلا جديدا على أن جلالته في تقديره للذين يخدمون مصر لا يعرف للعلم وطنا، وقابلته الدوائر العالمية بمزيد من الغبطة والارتياح المعنى السامي الذي دل عليه

قص علي مرة المغفور له الدكتور محمد شاهين باشا[٥] أن عطف الفاروق على القائمين بخدمته وبره بهم تجليا فيه منذ ما كان طفلا، فقد كان جلالته يطلب باستمرار نقودا من مربيته فأرادت يوما أن تعرف أين تذهب هذه النقود فاتضح لها أنه يوزعها على حارسه وعلى العمال الذين يلتقي بهم في حدائق القصر ليشتروا بها حلوى لأولادهم!

وسمعت مرة أخرى من أحد ضباط الياوران أن جلالته كان يتنزه يوما وهو صبي على صهوة جواده في مكان قريب من قصر القبة فدنا منه شحاذ طاعن في السن، مستجديا فطلب منه أن يقابله في الغد في المكان عينه، فلما كان الغد ذهب جلالته إلى المكان الذي كان الفقير ينتظره فيه وأعطاه ما كان متوفراً عنده من نقود.

وبعد ما نودي جلالته كشافاً أعظم[٦] مدة قصيرة دعته بعض فرق الكشافة إلى تشريف حملة ساهرة تقيمها في معسكرها، ولما انتهت الحفلة وبينما كان «سموه» عائدة إلى القصر العامر بالسيارة الملكية وبمعيته سعادة محمد زكي الإبراشي باشا ناظر الخاصة الملكية إذ ذاك التفت «سموه» إلى سعادته وقال له: «أنا مسرور جدا من هذه الحفلة ومما رأيته فيها».

---

(٥) وكان الطبيب الخاص للحضرة العملية الملكية

(٦) وكان جلالته يلقب يومئذ بأمير الصعيد

فقال زكي باشا: «الحمد الله يا أفندينا فإنه يهمنا جميعاً أن تكون دائما مسروراً».

فقال الأمير فاروق: «ولكن لا يكفي أن أكون أنا مسرورة بل أريد أن أرى الأولاد الذين اشتركوا في هذه الحفلة مسرورين كذلك، فماذا أستطيع أن أعمل لهم؟».

فقال زكي باشا: «ما يعمله جلالة الوالد».

فقال الأمير فاروق: «وماذا يعمل والدي؟».

قال زكي باشا: «يشترى جلالته سندا من سندات الدين الموحد ويهديه إليهم فيكون ريعه السنوى مكافأة لمن يفوز مهم بالجائزة الأولى»

فقال الأمير فاروق على الفور: «أرجو إذن يازكى باشا أن تشتري لي سندا فأهديه إليهم»

فقال زكي باشا: «حاضر يا أفندينا».

وقبل أن يكمل سعادته عبارته قال له الأمير: «ولكني أريد منك أن تشتري هذا السند من مالي الخاص فإذا لم يوافق والدي على ذلك فاشتره من مصروف جيبي وقسط علي ثمنه».

ولكي تقدر هذه الرغبة وما انطوت عليه من عاطفة سامية عظيمة تقديرا صحيحا لابد أن أوضح هنا لماذا قال الأمير فاروق اشتروا السند «من مالي الخاص»؟

قال ذلك لأن كل ما كان ينفق على سموه لم يكن من ماله الخاص بل كان ينفق من حساب جلالة والده تنفيذا لأمر جلالته وهو أن لا يمس مال ولي عهده بتاتاً.

وكان الأمير فاروق يعلم ذلك ولذا قال اشتروه «من مالى الخاص» فقد أراد أن يشعر بلذة الجود فأصر على أخذ ثمن السند من ماله الخاص وإلا فليؤخذ من مصروف جيبه ثم يسدده أقساطاً!

وعرضت هذه الرغبة يومئذ على جلالة الملك فؤاد ففرح بها فرحاً عظيماً وأمر بتحقيقها فوراً طبقاً لمشيئة ولي عهده.

وإن من يرجع إلى دفاتر حسابات جلالة الملك فاروق في الخاصة الملكية يجد أن أول مبلغ أمر باتفاقه هو ٩٢ جنيهاً ثمن ذلك السند.

وكان جلالته يومئذ في الثانية عشرة من عمره، وبذلك يكون قد أنفق أول مبلغ من المال في وجه من وجوه البر والخير كان همه الأول بعد حضور تلك الحفلة ألا يكون هو وحده الذي يفرح، بل أراد أن يفرح جميع الأولاد الذين اشتركوا فيها غير مكتف بالفرح الذي شمروا به لما رأوه يشرف معسكرهم.

ونما جلالته ونما معه هذا الشعور وهذه العاطفة. شعور التفكير في غيره، وعاطفة البر والخير.

وما كاد يعتلي العرش حتى تجلى للبلاد من أقصاها إلى أقصاها أن الشعب كله هو محور تفكيره وأن تفكيره الأول قائم على البر والخير.

وشعر الفقراء والضعفاء أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم وشعر العمال وصغار الموظفين أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم وتجلى ذلك كله بأجلى مظاهره منذ نشوب الحرب بوجه خاص، فكان أول ما عمله جلالته أن وجه الكيفية التي تحتفل بها البلاد – حكومة وشعبا – بالأعياد الملكية توجيها جديدا جاء مصدقا لمقدار حدبه الشديد على الطبقات الفقيرة، فأمر بإلغاء الزينات والحفلات على أن يذهب المال الذي تكلفه إلى الفقراء تخفيفا لضائقتهم ومساعدة لهم في شدتهم.

ومضى جلالته في هذا التوجيه النبيل السامي في كل مناسبة سنحت له، فلم يلبث أن بث في البلاد روحا جديدة في معاملة الطبقات الفقيرة، وما مشروع «يوم المستشفيات» الجليل سوى أحد مظاهر هذه الروح التي قابلها الناس بمزيد من الاغتباط والسرور، فعملوا أفرادا وجماعات على تحقيق الرغبة الملكية فعمت مصر هذه الموجة الجميلة المشاهدة الآن من العطف على الفقراء والبر بهم.

وكانت التقاليد قد جرت قبل الحرب على أن تقدم في القصر الملكي في شهر رمضان المبارك مآدب إفطار متعددة الأمراء البلاد وعلمائها ووزرائها وأقطابها وأعيانها، فلما جاءت الحرب أمر جلالته بإلغاء هذه المآدب على أن تحل محلها مآدب تؤدب في القاهرة وفي سائر مدن الملكة وأرجائها للفقراء والمعوزين على حساب الجيب الخاص الملكي طول مدة شهر الصوم المبارك، فقبل أن يحل شهر رمضان بأيام يذهب المحافظون والمديرون إلى قصر عابدين ويتسلمون

من معالي رئيس الديوان العالي الاعتمادات المالية اللازمة لهذه المآدب مع رجاء من جلالة الملك بأن يعدوا الفقراء الذين يدعون إليها «ضيوف جلالته» وأن يبالغوا في إكرامهم والعناية بهم

* * *

ولما حل شهر رمضان المبارك في سنة ١٩٤١ أصدر جلالته أمره الكريم بدعوة جميع موظفي القصر على اختلاف درجاتهم إلى الإفطار على المائدة الملكية، وتفضل فأذن للذين ليس عندهم «ردنجوت» بالحضور بالملابس العادية فبلغ عدد المدعوين أكثر من ٤٥٠ موظفا شملهم جلالته جميعا بعطفه ورعايته.

وكانت هذه أول مرة يدعى فيها جميع موظفي القصر إلى المائدة الملكية، أو بعبارة أوضح كانت هذه أول مرة يدعى فيها غير كبار رجال القصر إلى المائدة الملكية. وما جدير بالذكر هنا أنه لما أصدر جلالته نطقه الكريم بذلك قال لمن كان في حضرته من كبار رجال القصر: «أنتم كبار رجال القصر تشهدون جميع المآدب التي تؤدب في القصر، ولكني أريد أن يكون الذين يجيئون بعدكهم ضيوفي هذه المرة فيشعر كل موظف في القصر مهما صغرت درجته أن له في ذلك نصيبا».

ومن ينعم النظر في هذه اللفتة الملكية السامية يدرك ما انطوت عليه من معني نبيل، فالمسألة ليست مسألة مأدبة تؤدب ويدعى إليها ٤٥٠ موظفاً ثم ينتهي الأمر بذلك، ولكن المغزى الذي قصده جلالته هو الذي يجب أن يستوقف نظرنا في هذه المأدبة، وعندئذ يتبين لنا أن

هذه الدعوة كانت في الحقيقة مظهرا لروح بريد جلالة الملك أن تكون الروح التي تسود علاقات الرؤساء بالمرؤوسين، وهنا تظهر أهمية المأدبة التي أنوه بها في هذا المقام تنويها خاصا، فقد كانت هذه المأدبة درسا اتجه به جلالته إلى رجال الحكم وإلى رجال الأعمال بأن يذكروا الموظف الصغير ولا يغفلوه، وخصوصا في الظروف الحاضرة وقد قست عليه مقتضيات المعيشة.

إن جلالة الملك أراد بتلك الدعوة وبقوله إنه يحب أن يشعر كل موظف مهما صغرت درجته أن له من عطفه نصيب أن رسم للرؤساء ما عليهم من واجب لمرؤوسيهم، ويوحي إليهم في درس صامت بأن البر بصغار الموظفين من الأمور التي تهم جلالته وترضيه.

وفي الوقت عينه أمر جلالته الخاصة الملكية بتوزيع مبالغ من المال على العائلات التي أخنى عليها الدهر، فلا يمر عيد الفطر المبارك من غير أن تشعر هذه العائلات به، وأمر كذلك بتوزيع مبالغ أخرى من المال على كل بيت فقير في القاهرة وفي الأقاليم لا يستطيع أهله أن يستقبلوا العيد بما يستقبله به الناس عادة.

وكان ذلك درسا آخر يلقيه جلالته على الأغنياء والموسرين، فقد أراد أن يذكرهم بالواجب الإنساني الذي عليهم للمحرومين والمعوزين فيبذل كل غني وكل من أنعم الله عليه ببسطة من الرزق ما يستطيع بذله بمناسبة العيد لكي يعم الفرح بالعيد أكبر عدد من البيوت يستطيع تعميمه فيها، فلا يكون هو وحده الذي يشعر ببهجة العيد، ولا يكون هو

وحده الذي يأكل ويشبع، ولا يكون هو وحده الذي يلبس ويتمتع

* * *

وفي آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ كانت شؤون التموين شغل البلاد الشاغل وخصوصا فيما يتعلق بالحبوب فقرر دولة حسين سري باشا رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك أن يعقد جلسة(٧) خاصة ببحث هذا الموضوع الخطير من جميع نواحيه.

وبينما كان مجلس الوزراء مجتمعا وصل جلالة الملك إلى دار رياسة مجلس الوزراء بسيارة خاصة وبمعيته معالي أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي وكان قدوم جلالته مفاجئاً.

ودخل الملك ومعه حسنين باشا حجرة رئيس الوزراء المجاورة القاعة اجتماع المجلس ولما علم دولة حسين سري باشا بقدوم جلالته خف لاستقباله ثم شرف جلالته قاعة اجتماع المجلس وترأسه.

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أرفض اجتماع مجلس الوزراء وعلى إثر ارفضاضه وانصراف جلالة الملك من دار الرياسة أفضى دولة حسين سري باشا إلى الصحفيين بتصريح قال فيه: لما اطلع جلالة الملك على جدول أعمال مجلس الوزراء ورأى أن شئون التموين في مقدمة الشئون الهامة التي ينظرها المجلس في اجتماع اليوم قرر جلالته أن يرأس الاجتماع بنفسه ولما دخل على الوزراء قال لهم: «جئت إليك لأعمل

---

(٧) يوم الأربعاء ١٢٩كتوبر سنة ١٩٤١

معكم» ثم مضى جلالته في حديثه فقال: «ابحثوا ما تريدون بحثه واقترحوا ما ترومون اقتراحه وتناقشوا فيما تودون المناقشة فيه وقرروا ما ترون أن المصلحة العامة تقضي بتقريره هذا كله أتركه لكم، ولكن الذي أريده منكم جميعا أن تضعوه نصب عيونكم وأن تجعلوه موضوع اهتمامكم وتفكيركم وبحثكم وقراراتك هو أنه من العار أن تكون مصر بلاد زراعية قبل كل شيء وأن لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها في قوتها الضروري،فجميع الجهود يجب أن تتجه إلى معالجة هذه الحالة وإلى بذل أقصى ما يمكن بذله لتوفير القوت لجميع طبقات الشعب وخير لمصر أن يشبع أهلها بثمرات أرضهم من المواد الغذائية وأن يأمن الفقراء فيها غائلة الجوع من أن يزيد محصول القطن أملا في ربح مشكوك فيه ولا يخالجني شك في أن وطنية الزراع تأبى أن يجوع أهل البلاد في سبيل الحصول على ثمن مرتفع للقطن في يوم من الأيام».

ولا ريب في أن يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ سيظل يوما تاريخية أولا بترؤس جلالة الملك لاجتماع مجلس الوزراء لأول مرة في عهده وثانيا بتشريفه لدار رياسة مجلس الوزراء إذ كانت هذه أول مرة يذهب فيها الجالس على العرش إلى تلك الدار ولمثل الغرض النبيل الذي ذهب جلالته إليها من أجله، فإن اليوم الذي يذهب فيه مليك البلاد إلى رياسة مجلس الوزراء بنفسه و يقول لوزرائه لقد جئت إليك لأعمل معكم في سبيل رفاهية الشعب – اليوم تاريخي حقيقة.

وقد أراد جلالته بالنطق السامي الذي وجهه إلى الوزراء أن تنفذ

أقواله إلى ذهن كل زارع سواء أكان كبيرا أم صغيرة فيعلم أن عليه في أثناء الحرب واجب قوميا لا مندوحة له عن تأديته وهو واجب زرع أكبر كمية يستطيع زرعها من الحبوب، وقد كان تفكير جلالته وهو يوصي بما أوصى به متجها قبل كل شيء، إلى الطبقات العاملة والفقيرة، وكأنما جلالته بقوله «ولايخالجني شك في أن وطنية الزراع تأبى أن يجوع أهل البلاد في سبيل الحصول على ثمن مرتفع للقطن يوما من الأيام» قد أراد أن يقول إن تلك الطبقات يجب أن تأكل كفايتها... يجب أن تعيش لأنه على أكتافها قامت مصر ولأنه بسواعدها تزداد ثروة مصر!

ورأى مجلس الوزراء أن يخلد ذكرى ذلك اليوم التاريخي العظيم فقرر أن تثبت على المكان الذي جلس فيه جلالته ليرئس الاجتماع لوحة ينقش عليها «إنه في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ شرف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول رياسة مجلس الوزراء ورأس اجتماع مجلس الوزراء لأول مرة» وقد صنعت هذه اللوحة وثبتت فعلا في مكانها.

وإذا كانت اللوحة لا تذكر السبب الذي من أجله ذهب الفاروق إلى رياسة مجلس الوزراء فإن الشعب يذكره!

* * *

وهل يستطيع كاتب أن يكتب عن بر الفاروق بشعبه وعطفه على الفقراء والبائسين دون أن يتحدث عن الرحلة العظيمة التي رحلها في شهر فبراير الماضي إلى أعلى الصعيد؟ وكيف قضي يوم ١١ فبراير، يوم عيد ميلاده السعيد، بين المرضى والمنكوبين؟

وقد كان ملايين من الناس يسألون قبل العيد بيوم: ترى كيف يقضي الملك عيده غدا؟

قال بعضهم: لا بد أنه ستولم في قصر عابدين وليمة ملكية فاخرة ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة فيشهدها أعضاء الأسرة العلوية الجليلة.

وقال بعض آخر: أتكون الوليمة وليمة غداء أم وليمة عشاء؟ من المحقق أنها ستكون وليمة عشاء فتتلألأ ألوف من المصابيح الكهربائية وتعكس أنوارها على رياش القصر الغالية البهية.

وقال فريق ثالث: والغداء؟ الأرجح أن يكون الغداء غداء غير رسمي فيغتنم الملك فرصة عيد ميلاده ليستريح من عناء مهامه المتعددة، بينما تكون موسيقى الحرس تعزف في ساحة القصر.

وقال فريق رابع: ألا يخرج الملك في يوم عيد ميلاده متنزهاً؟... لقد رأينا اليخت «قاصد خير» راسية في الجزيرة فلا يستبعد أن يكون جلالته عازما على القيام بنزهة نيلية.

وكذلك تعددت الآراء في كيف يقضي المليك يوم عيد ميلاده، وكان للخيال نصيب كبير في تصوير ذلك كله.

وبينما كانت هذه الآراء تتردد في المجالس العامة والخاصة كان الملك في طريقه إلى أعلى الصعيد في زيارة مفاجئة بعيدة عن جميع المراسم الرسمية، فقد أراد أن يقضي عيده في زيارة الجهات التي انتشرت الملاريا فيها ليتفقد الحالة بنفسه وليقف بشخصه على التدابير

التي اتخذت لإسعاف فقراء الأهلين وإعانتهم.

آثر جلالته ذلك على مظاهر العيد، وعلى أبهة ولائم القصور، وعلى فخفخة المراسيم التقليدية.

ولما قالوا له: وكيف يستهدف الملك لخطر المرض؟ رد عليهم بابتسامة المؤمن المتوكل على ربه وقال: «هذا جزء من شعبي العزيز فكيف لا أسعى إليه».

كيف لا يسعى إليه وهو المصري الأول؟

وكيف لا يسعى إليه وقد آلى على نفسه منذ ما تسلم العرش أن يكون مع شعبه في كل وقت وفي كل مناسبة

بل كيف لا يسعى إلى الصعيد وقد كان «أمير الصعيد» قبل أن يكون ملك مصر!

وأتيح لي أن أتشرف بمرافقة ركاب جلالته في هذه الرحلة مع بعض الزملاء، فرأيناه يزور القرى في يوم عيده ويحادث الفقراء في أكواخهم والمرضى في دساكرهم حتى إذا عاد إلى الاستراحة الملكية سمعناه يقول: «إن هذا اليوم من أجمل الأيام التي احتفلت فيها بعيد ميلادي».

وكنا قبل ذلك بقليل قد سمعناه في خلال طوافه يقول: «إن كل مساعدة تسدى إلى الفلاح في مساعدة تسدى إلي».

وأبصرناه يطرق باب كوخ، فتقول سيدة عجوز: من الطارق؟ فيقول لها: «أنا فاروق جئت مستفسراً عن حالك». وشاهدناه وهو يربت على

أكتاف الأطفال بعطف وحنان وقد أمسك طفل ملابس جلالته فصاحت أمه قائلة: «ده الملك يا محمود» وهي لا تصدق عينيها، ثم خاطبت جلالته قائلة: «كنا عيانين ودلوقتى شفينا وكنا جعانين ودلوقتى شبعنا».

وفي كل مكان زاره جلالته كان يذوق طعام الفقراء والمرضى ليتأكد من جودته.

ولم يشأ جلالته أن يبزغ فجر يوم عيد ميلاده من دون أن يكون الفقراء في مديريتي أسوان وقنا نصيبهم من بهجة العيد، فسمعناه يقول ليلة العيد لسعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية إنه يتبرع لهم بعشرة آلاف جنيه.

وفي اللحظة عينها تبرع جلالته بألف جنيه «ليوم المستشفيات».

وفي اللحظة عينها كذلك عرفنا أن الملك تبرع بعشرة آلاف جنيه للمسجد الذي سيبنى في لندن.

وأمر جلالته بوضع أحد المنازل الكبيرة في التفتيش الملكي في المطاعنة تحت تصرف سيدات الهلال الأحمر ليستعملنه في عملهن الإنساني،وذلك إلى جنب العيادة الخارجية المجانية الموجودة في التفتيش.

وقال السيدات الهلال الأحمر في إسنا ولسيدات مبرة محمد على في الأقصر إنه يقدر جهادهن وتضحياتهن ويشكرهن عليها، وشملهن جلالته بمظاهر عطفه فدعاهن إلى المائدة الملكية، وركبت كبيرتهن في

إسنا وفي الأقصر في سيارة جلالته دلالة على ما للعاملين والعاملات في سبيل الفقراء من منزلة عنده.

وكان جلالته واقفا على شرفة فندق «ونتر بالاس» في الأقصر قبيل انتهاء الزيارة الملكية لها حين مرت مظاهرة كبيرة من الأهلين وهم يهتفون: «يحيا الملك منقذ الصعيد».

وأبرقت عينا جلالته!

فكانت صورة من أجمل الصور لعظمة العرش الحقيقية.. شعور الشعب بأن الملك له، وشعور الملك بأن الشعب له.

الفصل السابع

الملاك الرياضي وروح جلالته الرياضية

في يوم الأحد ١٤ من فبراير الماضي أقيمت بالقاهرة أول مباراة دولية في الرماية، كان معروفاً أن جلالة الملك سيشترك فيها.. ولكن الدوائر الرياضية كانت تعلم يوم السبت ما تعلمه مصر كلها وهو أن جلالته لا يزال في أعلى الصعيد يتفقد حالة منكوبي الملاريا فتساءلت كيف يتسنى له أن يشهد المباراة وظن كثيرون أن جلالته عدل عن الاشتراك فيها؟

أما جلالته فكان حريصا على حضور المباراة بدافع من روحه الرياضية العظيمة، ولاسيما أنها المباراة الأولى من نوعها في مصر وسيشترك فيها ٩ فرق مصرية وأجنبية فتكون دعاية طيبة لمصر، وكل شيء ينهض بسمعة مصر يهم جلالته ويتبوأ المكان الأول من عنايته.

فلم يكن من جلالته إلا أن غادر الأقصر في مساء السبت فبلغ القاهرة في الساعة الثانية من صباح الأحد.

وفي الساعة التاسعة والنصف – أي بعد ذلك بسبع ساعات – وقفت سيارة عسكرية صغيرة (جيب) عند مدخل ميدان المباراة ولما نزل سائقها منها تبين للحاضرين أنه جلالة الملك، وكان مرتدية بذلة الميدان للسلاح الجوى، وقد امتلأ قوة ونشاطا مع أنه قادم من رحلة شاقة وأنه

قضى معظم ساعات الليل في سفر، ثم لم ينه بعد ذلك على ما علمنا.

وخف كبار الحاضرين إلى استقباله فصافحهم جميعاً مغتبطاً، ثم تناول بندقيته ووضعها على كتفه وسار إلى المكان الذي يضع فيه المتبارون بندقياتهم بجوار هيئة التحكيم لا فرق بينه وبين سائر الرماة المتبارين.

واطلع جلالته على النظام الذي وضع لتسجيل الدرجات التي يحوزها المتبارون، وكان جلالته يعرف معظمهم فكان إذا التقى بأحدهم بادره بالتحية باسمة وسأله عن حاله وقال له إنه مسرور بلقائه، ثم يحادثه مليا في شؤون المباراة وتفصيلاتها.

وكذلك كان جلالته في خلال كل «فترة استراحة» يطوف بالحاضرين متنقلا من جماعة إلى أخرى، فيضفي عليها من روحه الرياضية العالية ما يبهر الضيوف الأجانب، وازدادت دهشتهم لما سمعوه يتحدث عن البندقية وأصول ضرب النار، وعن السلاح بوجه عام،حديث المطلع الخبير المحيط بأسرار الموضوع الذي يتحدث عنه.. إن هو ليس ملكا يحمل البندقية ليتسلى فترة من الوقت، أو ملكا لا يعرف من البندقية إلا كيفية استعمالها..كلا بل رأوا فيه ملكا يناقش أشهر خبرائهم الحاضرين في أدق دخائل البندقية وأسرارها ويذكر ما بين أنواع البندقيات من فوارق فنية دقيقة لا يعرفها سوى الخبراء الاختصاصيين.. ومع ذلك فهو دائما شديد الرغبة في الاستزادة مما يعرفه، فها هو ذا يحمل بندقيته ويتجه بها إلى مكان وقوف مدرب الفرقة الأميركية فيستوثق من أمر عن له، ويدور

الحديث بينهما طويلا.. هذا ملك وذاك شاويش.. ولكن كليهما الآن رياضي في حلبة رياضية واحدة.. فلا غضاضة على الملك إذا حادث الشاويش واستأنس بآرائه.. إنه بذلك يقيم من نفسه قدوة في سمو الروح الرياضية، وفيها يجب أن تكون عليه أخلاق الرياضيين الحقيقية.

وجاء دور جلالته في التمرينات فانبطح على الأرض مع سائر المتبارين جنبا إلى جنب وأطلق بندقيته، ولما انتهى دوره أقبل عليه بعض الرماة يهنئونه بمهارته مع أنه لم يتمرن في المدة الأخيرة بسبب كثرة مهامه، وفي تلك الأثناء كان مدرب الفرقة الأميركية يقول لي: «إني أعتقد أن جلالته أكبر خبير في السلاح في مصر، وفي كل مرة يحدثني عن شؤون البندقية أشعر أنني أمام ممتحن خبير لا يقنع بالردود السطحية» وفعلا أقبل عليه جلالته بعد قليل وقال له: «لقد قلت لي كذا لما سألتك عن كذا فهل لك أن تريني ذلك عمليا؟» واتجها معاً إلى مكان المباراة ولم يغادره جلالته إلا بعد ما استوفي جميع أجزاء حديثه الفني من الناحية العملية.

وأزف موعد الغداء وكان الحرس الملكي قد أعد «بوفيهاً» في خيام نصبت لهذا الغرض، وسمعت أحد المراسلين الأجانب يقول لزميله «أتعتقد أن الملك سيأكل معنا في هذه الخيام؟» فقال الآخر: «سنرى» فلما دخلا الخيام أبصرا جلالته واقفا يأكل من الشطائر «السندوتش» أسوة بالحاضرين جميعا، فلا مكان خاص، ولا مائدة خاصة، ولا مكان له وحده، ولا طعام خاص به، ولا أوان من القصر، فقال المراسل الأول لزميله «إنه حقيقة رياضي عظيم».

وبعد الغداء بدا التمرين الثالث في «الضرب الخاطف» فاشترك فيه جلالته كذلك ولشد ما كانت دهشة الحاضرين لما أصاب جلالته الهدف خمس مرات من ست فصفقوا إعجابا.

ولما انتهت المباراة ألقى ضابط أميركي كلمة حيا بها المليك وروحه الديمقراطية والرياضية العظيمة، وأراد المصورون أن يصوروا جلالته متوسطا أعضاء الفريق المصري الذي اشترك في المباراة فقال جلالته لأعضائه «اقتربوا بعضكم من بعض لكي نظهر جميعا في هذه الصورة التذكارية» فكانت هذه التحية التي وجهها إليهم جلالته بروحه الرياضية الجميلة أعظم مكافأة لهم على ما بذلوه من جهد، فنجحت المباراة نجاحا عظيما وكانت دعاية حسنة لمصر بين أعضاء تسع فرق يمثلون جنسيات متعددة و بين أصدقائهم.

وكان الملك، وهو المصري الأول، أول المغتبطين بهذه النتيجة فقال للأميرالاي أحمد سالم بك قائد الحرس الملكي وهو يصافحه: «مبروك فقد كانت المباراة موفقة».

ثم لوح جلالته بيده الكريمة لجميع الحاضرين مسلم وركب سيارته وانطلق بها عائدة إلى قصر عابدين العامر.. وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة بعد الظهر!

* * *

وقد نشأ الفاروق مولعاً بالرياضة منذ حداثته،فهو يسبح مهارة،

ويجيد الملاكمة، ولعب التنس، والسيف، وقد شغف أخيرا بلعبة ال (Quilles) – من ألعاب الرماية – فبرع فيها ودربه المغفور له والده على ركوب الخيل وهو لا يزال حدثا فغدا على مر الأيام فارسا مغوارا، وهو إلى جنب ذلك صياد ماهر وقد أشرت في فصل سابق إلى آثار صيده في المتحف الذي أنشأه في المزارع الملكية في أنشاص حسبي هنا أن أقول إن في تلك الآثار وحدها ما ينم على براعته في الصيد،وعندما يخرج جلالته لصيد البط ويحمي أعضاء جماعته عدد الطيور التي وفقوا إلى صيدها فلا بد أن يكون جلالته في الطليعة دائما.

وقد سمعت جلالته يقول إنه تعلم سواقة السيارة وهو في السابعة من عمره، واشترى في أواخر السنة الماضية يختا خاصا سماه «فخر البحار» وهو الآن يقوده بنفسه وقد أحب جلالته هذا الضرب الجديد من الرياضة وأولع به، ولا سيما أنه لا يشكو دواره مهما يكن الجو رديئا والعاصفة شديدة.

وللنهضة الرياضية في البلاد نصيب كبير من عطفه وتشجيعه وهو يحرص على شهود المباريات الكبيرة تعزيزا للروح الرياضية بين شباب البلاد، ولاسيما إذا كانت المباريات بين وحدات عسكرية فيحضرها بنفسه ويتتبع مراحلها باهتمام عظيم ثم يوزع بيده الكريمة الجوائز على الفائزين وقد استن جلالته تقليدا جديدا للحفلات الرياضية التي يشرفها بحضوره وهو أن يلبس الذين يتشرفون بالجلوس في مقصورته الملابس العادية بدلا من الملابس الرسمية.

ويعرف جلالته كبار الرياضيين في مصر معرفة شخصية والبعض منهم منزلة خاصة عنده، وهم أول من يعلم أنه لم يقم في البلاد مشروع رياضي يستحق التشجيع إلا كان جلالته في مقدمة مؤيديه، وهو في الرياضة لا يعرف غير الرياضة، وعنده أن الرياضة كالعلم والإنسانية ليس لها وطن، وكثيرا ما يتردد جلالته على النادي السويسري للرماية ويشترك مع أعضائه في تمريناتهم أو في مبارياتهم، وفي شهر ابريل الماضي افتتح جلالته ميدان الرماية الجديد الذي أنشأه فرع الإسكندرية للنادي السويسري على الأرض التي أهداها إليه جلالته.

وهذا عدا تشجيعه للأندية الرياضية بهباته المالية المتواصلة، ويشرف جلالته كل سنة الحفلة السنوية الساهرة التي يقيمها النادي الأهلي في دار الأوبرا الملكية ويتبرع له كل مرة لهذه المناسبة بمبلغ كبير من المال.

وهو بوصفه كشاف مصر الأعظم شديد الاهتمام بحركة الكشافة في مصر، وليس أدل على مقدار تأييده لحركة المرشدات من موافقته على أن تكون جلالة الملكة مرشدة مصر العظمى.

وفي الوقت الذي يكثر فيه الحديث عن مستقبل الطيران بعد الحرب ويتوقع العارفون أن تصبح مصر بحكم إقليمها الجغرافي ملتقى أكبر عدد من الخطوط الجوية، يسجل الكاتب مع الارتياح أن جلالة الملك فاروق في طليعة من يقدر الطيران وما هو منتظر له من مستقبل باهر بعد الحرب. وكان الجنرال جايلز القائد العام للقوات الأميركية في الشرق الأوسط يتحدث عن جلالته يوما فقال إنه لاحظ مع السرور أن

الملك مشبع بالميل إلى الطيران،لأنه مما لا ريب فيه أن المستقبل للطيران من بواعث الارتياح أن يكون على رأس المملكة المصرية ملك هذا استعداده نحو الطيران.

وفي أواخر صيف سنة ١٩٤٣ دعا الجنرال رويس القائد العام السابق للقوات الأميركية في الشرق الأوسط جلالة الملك إلى افتتاح المطار الذي أنشأه الأميركيون في ضواحي القاهرة، فجاء أكبر مطار لهم في الشرق الأوسط، ودعاه في الوقت نفسه إلى جولة جوية بالطائرة المعروفة باسم C54 وهي أكبر طائرات النقل في السلاح الجوى الأمريكي، وتفضل الملك فقبل الدعوة بشطريها وأتيح لي يومئذ أن أصحب جلالته في هذه الزيارة وفي الرحلة الجوية التي رحلها إلى الإسكندرية وقد تجلت فيها روحه الرياضية بأجلى مظاهرها.

وصل جلالته إلى المطار وهو يسوق بنفسه السيارة العسكرية الأميركية الصغيرة «جيب» وكان الجنرال رويس قد أهداها إليه قبل ذلك بمدة قصيرة، فأكبر الأميركيون الحاضرون هذه المجاملة من جانب جلالته وكانت موضع حديثهم.

ولما بلغ جلالته المكان الذي كان الجنرال روس ينتظره فيه مع أركان حربه والمستر كيرك وزير أميركا المفوض السابق في مصر ترجل من سيارته وصافحهم جميعاً باسماً وكان مرتدياً بذلة القائد الأعلى للسلاح الجوي المصري وبمعيته الفريق إبراهيم عطا الله باشا ياور جلالته ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري.

ودعى جلالته إلى الطائرة الكبيرة التي أعدت لرحلته إلى الإسكندرية، فصعد إليها وطاف بأرجائها وشاهد محركاتها وأجزاء آلاتها واستمع إلى بيانات قائدها، وقد ساعدته خبرته في شؤون الحركات ومطالعاته عن كل ابتكار جديد في الطائرات على سرعة استيعابها والإحاطة بها، فما كادت الطائرة تحلق في الفضاء حتى رأينا جلالته يجلس في مكان القيادة ويقود الطائرة بنفسه بين إعجاب الضباط الأميركيين ودهشتهم وقد خلع جلالته سترته لشدة الحر في ذلك الفصل من السنة وظل قابضا على مفاتيح القيادة حتى الإسكندرية، وحلقت الطائرة فوق الميناء ثم فوق المدينة ثم اتجهت إلى قصر المنتزه فهبط جلالته بها وطاف حول منطقة القصر غير مرة، وكانت جلالة الملكة وصاحبات السمو الأميرات الكريمات يقضين فيه فصل الصيف، وفي طريق العودة إلى القاهرة تولى جلالته قيادة الطائرة كذلك وقد ازداد رجالها تقديراً لمهارته وشجاعته لما علموا أن هذه هي أول مرة قاد فيها جلالته طائرة.

ولما انتهت الرحلة وعادت الطائرة إلى المطار خرج منها الملك بادي النشاط والاغتباط، فدعوه إلى مشاهدة طائرة أخرى قالوا له إن فيها ابتكار جديدة، ولشد ما كان استغرابهم لما سمعوه يقول: «لقد قرأت عن هذا الابتكار» ثم حدثهم عن تفاصيله حديث الخبير بها.

ودعا الجنرال رويس جلالته إلى جولة في المطار الجديد، فأشار الملك إلى سيارته الصغيرة وقال للجنرال رويس والمستر كيرك والفريق

عطا الله باشا «تعالوا معي» وصعد إلى السيارة وانطلق بها وقد جلس الجنرال رويس إلى جانبه وجلس المستر كيرك والفريق عطا الله باشا على المقعد الخلفي، وكان هناك مئات من العمال المصريين يعملون في منشآت المطار فلما لمحوا جلالته عرفوه،فهتفوا له هتافا عاليا فكان جلالته يرد لهم التحية بالتلويح بيده باسم شاكراً.

ثم عاد الملك إلى مكان الطائرة، فالتمس منه الجنرال رويس أن يسمح للمصورين العسكريين بتصوير ضباط الطائرة مع جلالته فسمح بذلك مبديا رغبته السامية في أن تشمل الصورة جميع رجال الطائرة من ضباط وضباط صف وجنود، ثم صافح جلالته الجنرال رويس والمستر كيرك وقائد الطيارة ولوح لسائر الحاضرين بيده وهو يطلق العنان لسيارته بيده الأخرى، ولما ابتعد عن الأنظار التفت إلى الجنرال رويس و قال: «كلما ازددت معرفة ملكك ازددت إدراك لسر تعلقكم به هذا التعلق الشديد».

وقال لي قائد الطائرة: «والذي أدهشنا في جلالته أنه ليس في كل ما رآه شيئا جديدا عليه أو غريبا عنه».

* * *

وكان الملك فاروق طريح الفراش في «القصاصين» يعاني آلام حادث السيارة الذي حدث له لما علم أن «عبد الفتاح عمر بك» البطل المصري العالمي في لعبة «سكواشراكت» وصل إلى مصر بعد الانتصارات الباهرة العظيمة التي أحرزها في انجلترا على أبطال هذه

اللعبة العالميين، فأعرب جلالته عن رغبته في رؤيته، ولما استقبله هنأه بما وفق إليه، وهنأه أكثر من ذلك بخلقه الرياضي قائلا إن تحلى الرياضي بالخلق الرياضي الكريم يهمه أكثر من بطولته في الرياضة نفسها، واستبقاه جلالته في حضرته زمانا طويلا ليسمع منه تفاصيل انتصاراته الأخيرة، وقبل أن يأذن له في الانصراف تفضل فأنعم عليه برتبة الباشوية تقديرا لبطولته ولما أسداه إلى سمعة مصر في الخارج بخلقه الرياضي القويم، فكان هذا التكريم الذي حظي به عبد الفتاح عمرو باشا تكريما لكل رياضي يفهم الرياضة بمعناها الصحيح.

* * *

والواقع أنه إذا كان جلالته رياضياً كبيراً بضروب الرياضة التي يمارسها،فهو كذلك رياضي كبير بروحه وخلقه كما يعرف عنه ذلك أصدقاؤه الخصوصيون، وقد أتاحت ظروف هذه الحرب الكثيرين من الضباط البريطانيين والأميركيين أن يتشرفوا بمعرفته عن كثب في مناسبات بعيدة عن قيود التقاليد والمراسم الرسمية فاستهوتهم شخصيته بطابعها الإنساني العظيم، وقد سمعت غير واحد منهم يقول إنه من بواعث الأسف الشديد أنه ليس متيسراً لكل واحد أن يحظى بمعرفة جلالته لما لسجاياه الشخصية من تأثير كبير في النفوس.

وقد شاهدت «القصاصين» صورة رائعة لخلقه الرياضي، فإنه لما نقل إلى المستشفى العسكري البريطاني على إثر حادث السيارة الذي حدث له، أظهر جليا عظيما في احتمال الآلام المبرحة التي كان يشعر

بها في تلك الساعة وطلب إلى أطباء المستشفي أن يبدأوا أولا بإسعاف الذين كانوا في معيته من رجال حاشيته.

وأقام جلالته ثلاثة أسابيع في ذلك المستشفى العسكري في وسط الصحراء في حجرة من الحجر العادية وقد أبت عليه روحه الرياضية أن يغير شيئا من نظامها لأنه ملك، بل أصر على أن يعامل كجندي، كأنما أراد أن يحيط بحياة الجندية من جميع نواحيها، فنام على سرير «سفرى» واحتفظ بأثاث الحجرة كما كانت عليه عند وصوله إليها وأصدر أمره إلى رجاله بألا يجلبوا له شيئا من القصر فتى أغطية السرير ووسائده وملاءاته كانت من أغطية المستشفي ووسائده وملاءاته العادية المتواضعة.

ولم ينقض على جلالته في «القصاصين» أيام حتى قال لي الميجر بيرد قائد المعسكر البريطاني: «إننا من جهة شديدو الأسف على الحادث الذي حدث لملككم، ولكننا من جهة أخرى شديدو الاغتباط بالظرف الذي هيأ لنا السبيل إلى التشرف بمعرفته عن كثب فعرفناه كما هو حقيقة، فيجب على مصر أن تكون فخورا بمليكها».

وفي ليلة انتقال جلالته إلى القاهرة أنعم بنياشين وميداليات شتى على رجال المعسكر وضباط المستشفي والممرضات والممرضين الذين اشتركوا في علاجه وخدمته وأهدى إليهم هدايا شتى، فكان منظرهم وهم يحملونها شبيهاً «بشجرة عيد الميلاد» كما قال الميجر بيرد.

وكان على جلالته أن يستكمل علاجه بعد انتقاله إلى قصر عابدين، وهنا تجلت عظمة روحه الرياضية بأجمل مظاهرها، فقد قال جلالته إنه

ليس من الوفاء للممرضات اللواتي اعتنين به في «القصاصين» أن يستوفي العلاج على أيدي غيرهن، فرغب إلى السلطات العسكرية البريطانية المختصة في أن تأذن لاثنتين منهن في الذهاب معه إلى قصر عابدين وملازمته فيه المدة الباقية للعلاج، فحققت تلك السلطات رغبته السامية وقد وقع اختيار جلالته على الممرضتين اللتين كانتا تخدمانه «في القصاصين» في الليل لأنهما تعبتنا أكثر من سار زميلاتهن.

وكان «المدلك» الذي يدلك الملك في أثناء إقامته «بالقصاصين» أنباشى انجليزي فلم ينسه جلالته كذلك عند انتقاله إلى قصر عابدين بل أخذه معه كما أخذ هاتيك الممرضتين وقد أقام هذا الأنباشي الانجليزي في قصر عابدين بملابسه العسكرية الانجليزية طول المدة التي اقتضاها استيفاء العلاج وكثيرا ما كان جلالة الملك يكلف أحد ياورانه دعوته إلى السينما ويضع إحدى سيارات القصر تحت تصرفه في الذهاب والإياب.

وغني عن البيان أن الملك كان يستطيع أن يجد في القاهرة عشرات الممرضات والمدلكين، ولكن روحه الرياضية العالية أبت عليه أن يتم شفاؤه في قصر عابدين على غير أيدي الذين سهروا على خدمته في وسط الصحراء.

الفصل الثامن
فاروق المعتز بمصريته ومصر المعتزة بملكها

لو أراد أعظم المصورين أن يصور سعادة الملوك كما يتخيلها لما استطاع أن يصورها بأروع ما عرفتها به تلك العبارة التي ختم بها جلالة الملك فاروق إحدى رسائله إلى شعبه ليشكره على مظاهر إخلاصه وولائه بمناسبة عيد ميلاده. قال جلالته: «إن الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض، ولكن يستمد هذه السعادة من تمكين محبته في القلوب وإني لأحمد الله أن وجدت في كل قلب من قلوبكم عرشا أعتز به وأفتديه».

وكل من أتاحت له الظروف شرف معرفة الملك فاروق عن كثب أحس بشدة اعتزازه بمصريته وبكل ما هو مصري ولمس مقدار ثقته بشعبه واعتداده به.

أو تريد أن تدخل البهجة على قلب جلالته، وأن ترى عينيه تبرقان فرحا وزهو.. حدثه عن عمل حسن أو مشرف عمله مصري مهما قل شأنه.. تشعر من الانشراح الذي يرتسم على أسارير وجهه بمبلغ سعادته وفخره.

كان جلالته يعاني في «القصاصين» من الألم ما يعاني حين بلغه أنه لما زار الرئيس روزفلت والمستر تشرشل أبا الهول والأهرام أبى

الدليل المصري الذي صحبهما في جولتهما أن يتقاضى أجرا على عمله، فقال جلالته على الفور: «حسن. هذا عمل طيب» وأطري مسلك الدليل إطراء عظيما وأمر بأن يرسل إليه مبلغ من المال تقديرا منه لصنيعه.

ودعا جلالته مرة سمو الأمير بول ولي عهد اليونان وبعض كبار الضيوف الأجانب إلى القصر الصغير الذي بناه في المزارع الملكية في أنشاص فأعجبوا بجماله وحسن تأثيثه وتنسيقه، فقال لهم جلالته معتزة: «إن الأيدي المصرية هي التي بنت أو صنعت كل شيء ترونه هنا».

وعند جلالته أنه إذا أتيحت للعامل المصري ظروف العمل فلا يستطيع عامل آخر أن يظهر عليه، ولما قال جلالته عند زيارته للكاتدرائية الإنجليزية للمطران جوين ولرئيس أساقفة يورك إنه سيهدي إلى الكاتدرائية أجزاء النافذتين اللتين جاء ذكر حكايتهما في فصل سابق، قال المطران جوين: «إني سأبرق حالا إلى لندن لكي يصنعوا لنا هذه الأجزاء» فقال جلالته باسم: «إن هذه الأجزاء ستصنع بأيد مصرية فتجيء هدية مصرية حقيقة» فضحك رئيس أساقفة نورك، وقال: «إن جلالته على حق».

ولما اشترك جلالته في مباراة الرماية الدولية قال الرئيس الفريق المصري: «إذا أحرزت رقما يفوق الرقم الذي يحرزه أحد أعضاء الفريق المصري فضعوا اسمي مكانه لكي يتحسن ترتيب فريقنا و إلا أغفلوا اسمي وخذوا أسماء المتفوقين منا» وكذلك لم يتجه تفكير جلالته إلى أن يقال إنه أحرز رقم كذا بل اتجه إلى ضرورة ظهور الفريق المصري بمظهر

مشرف، ولذا طلب أن تدمج نتيجة مجهوده – في حالة تفوقه – في نتائج جهود غيره ما دام الغرض واحد!

وقد تعمدت أن أستشهد بهذه الحوادث الصغيرة،لأنها مع بساطتها تدل دلالة واضحة على الروح التي تخالج جلالته وعلى الشعور الذي يضطرم بين جنبيه، فهو بحق المصري الأول بشعوره ووجدانه قبل أن يكون المصري الأول بتاجه وصولجانه.

وهو في الوقت عينه أول من يقدر الأجنبي الذي يحب مصر ويخلص لها على نحو ما رأينا في فصل سابق، وإذا كنت أعود إلى التنويه بذلك هنا فلكي لا يساء فهم ما قلته عن اعتداد جلالته بمصريته، وأظن أن الأجانب الذين يصطفيهم جلالته ويشرفهم بصداقته أول من يؤمن على هذا الكلام، وهم كذلك أول من يشهد بأن جلالته مستعد دائما لأن يكون صديقا لكل من يشعره بأنه صديق لمصر، ولا ينسى جلالته أصدقاءه الأجانب عند ما يغادرون مصر بل يذكرهم على الدوام ويوالي السؤال عنهم، أذكر أنه كان جالسا مرة مع الكولونيل بتلر – وهو الذي كان ياوراً لدوق كنت شقيق ملك بريطانيا نحو اثنتي عشرة سنة – فسمعته يسأله: «كيف حال الميجر فلان؟» فقال الكولونيل بتلر: «إنه بخير يا صاحب الجلالة وهو في لندن وقد تلقيت منه كتابا من أيام» فقال جلالته: «إني مسرور بأن أسمع أنه على ما يرام فهو صديقي».... وأظن أن كلمة «صديقى» وحدها تغني عن كل تعليق!

وما كادوا ينعون إلى جلالته المستر برت فيش وزير أميركا المفوض

الأسبق في مصر، وقد توفي في لشبونه، حتى أمر بأن يبرقوا إلى وزير مصر في البرتغال بأن يضع إكليلا من الزهر على ضريحه باسم جلالته وقال حفظه الله «لقد كان المستر برت فيش محبة لمصر وصديق لي وأنا فعلا شديد الأسف على وفاته».

* * *

وكأنما أراد جلالته أن يكاشف شباب مصر المتعلم ما يعلقه عليه من آمال فأمر في شهر أغسطس سنة ١٩٤٣ بإقامة حفلة شاي كبيرة في حدائق قصر عابدين تكريما لأوائل الطلبة والطالبات الذين أتموا دراستهم في ذلك العام في كليات الجامعة الأزهرية وجامعتي فؤاد الأول وفاروق الأول وكليتي الحربية الملكية والبوليس الملكية وجميع المعاهد العالية والفنية والمتوسطة بمختلف أقسامها حتى بلغ عددهم نحو خمسمائة طالب وطالبة، صافحهم جلالته جميعاً واقفاً وقد افتر ثغره عن ابتسامة الرضاء والارتياح ثم شرب جلالته الشاي معهم، وكأنما كان هناك تيار خفي بينه وبين ضيوفه فلم يحولوا أبصارهم عنه ولاحظ جلالته أنهم لا يأكلون فأطال الوقوف وقال لبعض رجال الحاشية «اعزموا عليهم».

وقبل أن يبرح جلالته المكان عائدا إلى داخل القصر التفت إلى ضيوفه وحياهم برفع يده الكريمة إلى رأسه غير مرة وما كادت الموسيقي تفرغ من عزف السلام الملكي حتى كانت ديمقراطية جلالته ومظاهر عطفه قد أنستهم أنهم في القصر الملكي فهتف أحد الطلبة حياة «الدكتور فاروق ملك مصر» فدوى المكان بعاصفة من التصفيق وابتسم الملاك وكرر التحية. وبينما كان

جلالته متجهة إلى داخل القصر كان الهتاف يتكرر «لملك مصر والسودان» و«ملك الشباب» و«الملك الصالح» و«المصري الأول» فقد أراد الشباب المتعلم في تلك اللحظة أن يعرب لجلالته عما يكنه له الشباب – قلب مصر النابض – من حب وولاء وإخلاص فأرسل الهتاف عالية من قلوب مخلصة عامرة بالإيمان – الإيمان بالله والملك والوطن.

وعلى إثر ذلك تقدم معالي أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان العالي وتلا عليهم الرسالة الكريمة الموجهة إليهم من جلالة الملك وقد استهلها جلالته بقوله:

«إني لأشعر بالغبطة تغمر نفسي إذ أراك تحفون بعرشي، وتحيطون تاجي بهالة من عامكم وشبابكم، وإن عرشا وإن تاجا يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر: مصر التي كانت ومصر التي ستكون».

«أما مصر التي كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها والتغني بمآثرها، وأما مصر التي ستكون فأنت المسئولون عنها وإنها لأمانة في أعناقكم فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته في أجدادكم».

ثم قال جلالته: «لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلمسوا عن قرب حبي لكم وتقديري للعمل في أشخاصكم وأن تحيوا باسمي زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم فجاءوا بعدكم في ترتيب النجاح وأن تبلغوهم اعتزازى بنجاحهم ونجاحك فإن كل إجازة عامية جديدة تعد نجماً ساطعاً في سماء بلادي».

«أنتم حملة المشاعل وكثيرون ينتظرون الضوء الذي تحملون ليهتدوا

به إلى طريق الحياة فلا تطيلوا انتظارهم، وانفعوا بعلمكم وانتفعوا، وليكن لكم من دينكم ووطنكم وإيمانكم وأمانتكم حصانة تقيكم الزلل».

وختم جلالته رسالته بقوله: «ارفعوا المشاعل فوق الطريق ولا تجعلوها نارا تحرق بل اجعلوها نورا يضيء، وعلى بركة الله سيروا في طريقكم، وهذه يدي في أيديكم تساهم في العمل معكم، يد قوية، لا لأنها يد ملك، ولا لأنها يد شاب، ولكن لأنها يد مصري يؤمن بمصريته»..

«فلنؤمن جميعاً بمصر فإنها كنانة الله ولنعمل لها وسيرى الله أعمالنا ويباركها».

وفي شهر رمضان المبارك من السنة عينها أمر جلالته فأدبت مأدبة إفطار كبيرة في قصر عابدين العامر لرؤساء طوائف العمال وممثلي نقاباتهم وجمعياتهم، إظهارا لإيمانه بالذين تقوم على سواعدهم نهضة مصر الصناعية، ولكي يعلموا أن الملك يفتح أبواب قصره ويرحب بكل مصري يعمل في سبيل بلاده.

وتفضل جلالته فطاف بهم مساها. فقابلوه بأشد مظاهر الإخلاص والولاء حماسة، ولما أزف وقت الغروب وحل موعد الإفطار أكل جلالته من رغيف قدمه إليه أحد العمال فتعالى هتافهم للملك نصير العمال.

ولم يشأ جلالته أن يحرم زملاؤهم بالإسكندرية من فيض عطفه ورعايته فأمر بأن تؤدب لهم في قصر المنتزه العامر مأدبة إفطار مماثلة للمأدبة التي أديت بالقاهرة

* * *

إن هذه الرسالة ليست سيرة الفاروق بل مجموعة صور سريعة له في نواحيه المتعددة، ولكني لا أستطيع أن أختم هذه الرسالة من دون أن ألمع إلى أيام «القصاصين» وإلى اليوم الذي خرجت فيه القاهرة تحيى المليك باسم مصر كلها فرحة مبتهجة، بعودته من «القصاصين» بعد ما كتب الله له النجاة ومن عليه بالشفاء... فقد كانت أيام «القصاصين» وحفاوة الشعب بالفاروق عند رجوعه من «القصاصين» مبايعة شعبية عامة تجلت فيها مكانة المليك في النفوس بأروع مظاهرها وأجمل صورها.

ففي مساء يوم ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٤٣ أذيع أن الملاك أصيب في حادث سيارة بالقرب من «القصاصين» وهو في طريقه إلى الإسماعيلية ليتفقد الإصلاحات التي أدخلت على يخته الجديد « فخر البحار » وأنه نقل إلى المستشفى العسكري البريطاني في «القصاصين» فارتفعت الدعوات الخالصات في كل مكان ومن كل بيت بحمد الله وشكره على نجاة المليك وسؤاله أن يمن على جلالته بالشفاء العاجل فاستجاب الله تعالى الدعاء وأكرم مصر والشرق العربي كله.

وقد رأيت ميدان عابدين في مناسبات متعددة ولكني لم أره كما رأيته في اليوم التالي ليوم الحادث،فقد ظلت الجماهير تتدفق عليه طول النهار تدفقا لم تشاهد العين مثله حتى استحال الميدان على سعته كتلة بشرية واحدة حجبت أرضه عن الأنظار، ولما ضاق الميدان بمجموع الشعب انتشرت في الشوارع المؤدية إليه والمتفرعة عليه وهي تهتف للفاروق معقد آمال البلاد.

وسمعت الشعب يهتف في عابدين غير مرة، ولكني لم أسمعه يهتف كما كان يهتف في ذلك اليوم.

كان هتافه مزيجاً من الدعاء والاغتباط والحماسة، فكان هتافا ينفذ إلى القلوب قبل أن يصل إلى الأذان.

وكان الشعب يعلم أن الملك ليس في القصر ومع ذلك كانت الأبصار كلها متجهة إليه،كأنما كان كل واحد يبصر جلالته واقفا في شرفته، وهذا هو سر تعلق الشعب بالفاروق فان كل واحد يشعر أن الملك معه، وأن الملك يفكر فيه، وأن الملك يشعر شعوره. كل واحد يشعر أن الملك صديقه. كل واحد يشعر أن هناك صلة روحية بين الملك وبينه. وهو شعور لم ينشأ في الشعب عفوا، بل نشأ فيه بعد الذي رآه من بر المليك به في كل مناسبة وتفكيره الدائم فيه وحدبه على الفقير قبل الغني وعلى الضعيف قبل القوي وعلى الصغير قبل الكبير.

أما في داخل القصر فكان زحاما لم يعرف رجال المعية مثله فجاءوا بسبعة سجلات كبيرة، ليكتب فيها الزائرون أسماءهم ومع ذلك كان التهافت عليها شديدا فقد سعى كل ذي حيثية ومقام، مصريا كان أم أجنبية، إلى بيت الملك ليعرب عن شعور ولائه وإخلاصه وكان الجميع يرددون أن الله لطف بمصر فحفظ لها فاروقها.

ولما أذيع أن جلالة الملك آثر البقاء في «القصاصين» لم تلبث «القصاصين» أن أصبحت مقصد جموع الشعب من جميع الطبقات فرأت كل يوم ألوفا متعددة من الزوار على الرغم من بعد المكان.

ولا أريد هنا أن أتحدث عن وفود العظماء والكبراء الذين يمتلكون سيارات، ولكني أريد أن أتحدث عن عشرات ألوف من الطلبة والعمال والزراع وصغار الموظفين وأبناء الطبقات المتوسطة، وكانوا يذهبون إلى «القصاصين» بسيارات كبيرة يستأجرونها لهذا الغرض ويحشرون أنفسهم فيها حشرا أو يسافرون إليها بسكة الحديد فيملئون القطر حتى إذا غصت بهم المركبات تسلقوا ظهر القطار وجلسوا عليه غير مبالين بالخطر الذي يستهدفون له ما داموا ذاهبين إلى «القصاصين» ليطمئنوا على مليكهم المحبوب، وليعربوا له عن شعار ولائهم وإخلاصهم فإذا وصلوا إلى محطة «القصاصين» اتجهوا ماشين إلى مكان المستشفي والمسافة بينه وبين المحطة ذهابا وإيابا لا تقل عن خمسة كيلومترات تحت وهج الشمس في صحراء جرداء، فإذا بلغوا مكان الزيارة اصطفوا فيه صفوف منتظمة، وأوفدوا مندوبين عنهم لمقابلة بعض رجال الحاشية، فيرفع هؤلاء رسالتهم إلى جلالة الملاك المعظم، ثم يعودون إليهم ويبلغونهم الشكر السامي ويطمئنونهم ويرجون منهم أن يطمئنوا إخوانهم الذين لم يجيئوا معهم، فترتفع أصواتهم بالهتاف بحياة المليك الغالية ثم ينصرفون وهم يكررون الهتاف على طول الطريق. هؤلاء هم الذين أردت أن أنوه بزيارتهم «للقصاصين» تنويهاً خاصاً.

وكان الناس في المدن والقرى التي تمر بها القطر الذاهبة إلى «القصاصين» يقابلونها بالهتاف لجلالة الملك كأنما يحملون ركابها تحياتهم لجلالته.

وكان العمال الذين يعملون في المعسكرات القريبة من المستشفي يستهلون النهار بقولهم: «صباح الخير يا فاروق» وهم واقفون في اللوريات التي تقلهم إلى مقر عملهم، وفي المساء يقولون وهم منصرفون باللوريات عينها: «مساء الخير يا فاروق».

شعور شعبي عام لا يمكن كاتباً أن يفيه حقه من الوصف، فقد تجلى بصورة تسمو على كل وصف.

وعاد هذا الشعور الشعبي فتجدد يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٣ وهو اليوم الذي شرف فيه جلالته عاصمة ملكه من «القصاصين» فاته ما كاد سكان القاهرة يطالعون في الصحف قبل ذلك بيوم واحد أن الموكب الملكي سيجتاز العاصمة من قصر القبة إلى قصر عابدين حتى ازدادوا فرحا وابتهاجا بهذه الفرصة التي ستتيح لهم، وهم يحتلون طلعة المليك السنية، أن يجددوا الإعراب عن شعور الغبطة الذي غمرهم لنحاة جلالته وأن يظهروا لجلالته بهذه المناسبة ما تكنه له قلوب رعاياه من حب وإخلاص وولاء.

وعلى الرغم من ضيق الوقت أخذوا يتبارون في إقامة الزينات وخصوصا في الطريق الذي يجتازه الموكب الملكي فلم يأت المساء حتى كانت أقواس النصر قد أقيمت في جهات متعددة وحتى كانت الأعلام تخفق في كل مكان، وما استوقف النظر أن أصحاب المتاجر والمحال الأجنبية عدوا العيد عيدهم كذلك فرفعوا الأعلام على متاجرهم ومحالهم مشاركة لمصر في فرحها وابتهاجها وإظهارا لما لجلالة ملكها المعظم من مكانة في نفوسهم.

وعقدت الهيئات الشعبية اجتماعات سريعة وقررت ما تعمله التحية الملك في هذا اليوم الميمون الطالع، وذلك وفاء لبعض ما عليها الشخص جلالته وهو الذي غمر طبقات الشعب في كل مناسبة بفيض من عطفه وكرمه.

وأبت هيئات العمال إلا أن يكون هذا اليوم عيدا شعبيا عاما يظهر فيه العمال ما تنطوي عليه قلوبهم لصاحب العرش العظيم.

وكيف لا يجعله الشباب المتعلم من ناحيته عيد شعبيا عاما كذلك والملاك يمثل أماني الشباب وآماله. أماني مصر الغد وآمالها.

بل كيف لا يجعله الشعب كله عيداً شعبياً عاماً وقد كان الملك في كل وقت مع الشعب وللشعب، فأضحي محط رجائه ومعقد آماله.

واستيقظت القاهرة في صباح يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر لتشاهد ما لم يسبق أن شهدته من الزينات الجميلة وأقواس النصر العظيمة من قصر القبة إلى قصر عابدين، وكذلك لم تشهد عاصمة المملكة مثل ما شهدت في ذلك اليوم من احتشاد مئات الألوف في طريق الموكب الملكي، حتى ضاقت بهم الطرق والميادين الفسيحة فتسلق كثيرون منهم الأشجار والمرتفعات ليتسنى لهم رؤية المليك الحبوب وامتلأت شرفات المنازل والنوافذ بالسيدات والآنسات على طول طريق الموكب الملكي وأعد أصحاب القهوات والفنادق أماكن الجلوس للمتزاحمين للترحيب بالفاروق.

وفي نحو الساعة الواحدة بعد الظهر تحرك الركاب العالي من قصر القبة، وكان جلالة الملك مرتديا بذلة القائد الأعلى للجيش المصري، وما كاد جلالته يلمح طلائع شعبه حتى نسي ألمه ونصح الأطباء له فنهض وأخذ يرد لشعبه الوفي التحية برفع يده إلى رأسه تارة وبالتلويح تارة أخرى وهو واقف في سيارته وقفته العسكرية المعروفة، وقد تجلت على وجهه المشرق أمارات الغبطة والانشراح.

واستمر جلالته يحيي شعبه كذلك من حدائق القبة حتى ساحة قصر عابدين الداخلية.

وكانت الجماهير إذا أبصرت جلالته انفجرت حماستها فتدوي الهتافات وتلتهب الأكف بالتصفيق وتعلو زغاريد النساء على أنغام الجوقات الموسيقية، وقد ألقت كثيرات منهن الأزهار والرياحين في طريق الموكب الملكي من شرفات المنازل والدور.

ولأول مرة رئي مئات من الأطفال يلوحون لمليكهم المحبوب بأعلام مصرية صغيرة.

واصطف تلاميذ المدارس القائمة في طريق الموكب الملكي على جانبي الطريق واشتركوا في تحية جلالته.

ولما وصل الركب الملكي إلى ميدان المحطة لم يكن هناك متسع القدم فتسلق الناس مركبات المترو والترام لكي لا يفوتهم اجتلاء طلعة الملك المفدى.

أما فندقا شبردوالكونتيننتال فكانا عبارة عن كتلة بشرية يرى المرء أولها ولا يلمح آخرها

وأما ميدان الأوبرا فبدا بصورة يعجز القلم عن تصويرها حتى إذا وصل الموكب الملكي إلى ميدان عابدين خيل إلى المرء أنه أمام بحر زاخر من الخلق، وما كادت الجماهير تبصر المليك واقفا في سيارته حتى تأججت نار حماستها فإذا الميدان يتحول إلى عاصفة من التصفيق والهتاف.

وبينما كانت السيارة الملكية تجتاز باب القصر التفت جلالة الملك إلى رئيس ديوانه وقال: كم كنت أود لو استطعت أن أصافح كل فرد منهم.

وبعد أيام وجه جلالته إلى شعبه الوفي رسالة كريمة استهلها بشكر الله تعالى على رحمته ونعمائه ثم قال:

«وأنتم يا أبناء شعبي لكم بعد الله حمدي وحبي، فإن ما أحسست من وفائكم وولائكم أنساني ألمي وضمد جرحي وجعل صحرائى جنة وارفة الظلال».

«ولقد تعودت في صحتي أن أطوف ببلادي لأن هذا واجب الملك وما تصورت في مرضى أن تطوف بي البلاد هكذا مستفسرة عن صحة مليكها – بل ابنها. فما أنجب وطنا أنتم أبناؤه، وما أسعد ملكاً أنتم رعيته».

«إن الحادث الذي وقع علمني أن تعلقي بك لا يعدله إلا تعلقكم بي، ولقد كنت أشعر أنكم تحبوني لأني أحبكم، فوددت ألا يذاع النبأ حتى لا تجزعوا ولكن سرعان ما عاهته بما حدث لي، وسرعان ما علمت بما حدث لكم وما حدث منكم».

«ثم عدت إلى عاصمة ملكي فرأيت ما وددت معه لو استحالت أنفاسي ونظراتيكلمات شكر فإنها وحدها تستطيع تصوير ما ارتسم في ذهني وخاطري من معنى وشعور».

«إن من أجمل أماني الإنسان أن يرى من يحبه ولقد رأيتكم، رأيت مصر كلها فيكم، وأحسست صدى ما تشعرون به يجيش في جوانحي خفقاً وفي خاطري أملا وفي قلبي إيماناً بكم.

«يا أبناء شعبي. إنني ملككم أملك أن أحبكم. ولكنى لا أملك شكركم».

فهنيئاً لبلاد بملك هذا هو شعوره نحو شعبها!

وهنيئاً لملك ببلاد هذا هو شعور شعبها نحوه!

يوليو ١٩٤٤

الفهرس